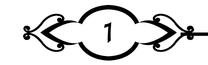
متولى بصل

# الحـــــب

# فى الوقت الضائع

## مجموعة قصصية

الطبعة الأولى – يوليه 2021



# بطاقة الكتاب


| عنوان المؤلف | الحب فى الوقت الضائع |
| --- | --- |
| المؤلف | متولى بصل |
| التصنيف | مجموعة قصصية |
| رقم الإيداع القانونى | 19441 - 2021 |
| الترقيم الدولى | 978-977-999-029-3 |
| رقم الإصدار الداخلى | 775 الطبعة الأولى يوليو 2021 |
| عدد الصفحات | 118 صفحة |
| تصميم الغلاف | مؤسسة النيل والفرات |


مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع
ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي
رئيس مجلس الإدارة
ناجى عبد المنعم
ALNILEWAALFOURAT
مؤسسة
النيل والفرات
للطبع والنشر والتوزيع
أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم
عام 2017
رخصة مزاولة مهنة: 58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35–01–572
عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018
هاتف: 01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس: 020554372901
nagyegy200064@gmail.com
النيل والفرات
alnilwaalfourat@gmail.com
alnilwaalfourat
المقر الرئيسي: ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – أمام سنتر الـ13 – عقار 304

# الحب في الوقت الضائع

أكثر من سبعين سنة قضيتها وأنا مقتنع بأن الهوس الذي يسمونه حباً ليس سوى نقمة وبلاء! أليس هو الذي دفع قابيل لقتل أخيه؟! أليس هو الذي نزع من كليوباترا عرشها وحياتها؟! أليس هو الذي جلب الجنون لقيس ابن الملوح؟! .

كنت من أشد المؤيدين للنظرية التي تقوم على أساس أن الحب هو سبب كل المصائب التي تعاني منها البشرية !

لذلك كنت حريصا أشد الحرص على ألا أقع فريسةً لذلك الوباء الذي لا يرحم كبيرا ولا صغيرا؛ ولا يترك عظيما و لا حقيرا !

**ولولا أن الزواج هو الوسيلة الوحيدة المباحة والمتاحة للاستقرار والإنجاب ما كنت تزوجت ! لقد تزوجت ثلاث مرات؛ الأولى طلقتها لأنها كانت متكبرة ومغرورة؛ دراستها للحقوق؛ وعملها كمحامية؛ كل ذلك جعلها تتعالى عليّ؛ وأنا لا يمكن أن أقبل أبدا أن تتعالى عليّ امرأة حتى ولو كانت قاضية في المحكمة!**

**والثانية – لا أدري لم نزلت هذه الدمعة من عيني ! ربما دخل في عيني شيء ما – الثانية طلقتها لأنها كانت عاقرا؛ طلقتها رغم أنها كانت تحبني لدرجة الجنون! والعجيب أنني سمعت بعد سنوات من تطليقها أنها تزوجت؛ وأنجبت بنتاً! ظللت أضرب كفا بكف عندما بلغني هذا الخبر؛ وقلت وقتها :**

- ما أعجب تصاريف القدر !

أما الثالثة؛ فقد ماتت منذ عشرين سنة؛ بعدما أنجبت لي أربعة أولاد؛ وثلاث بنات، ورغم هذه الزيجات فإنني لم أشعر بأي عاطفة نحو أية واحدة منهن! فقط كنت أتزوج من أجل الزواج الروتيني والإنجاب!

إنني أحيانا كنت أتعجب من حالي؛ ومن قلبي الذي لم تُفتحْ أقفالهُ يوما! حتى ران عليها الصدأ! ربما كنت بليد الحس؛ ربما كان قلبي من حجر؛ فالمشاعر والأحاسيس لغة لا أفهمها؛ ولا أستطيع فك طلاسمها !

ومع ذلك كانت لهذا التبلد حسناته! فقد جعلني أركز في عملي؛ وأتفرَّغ له؛ حتى حققت كل ما أصبو إليه؛ وبعدما كنت مجرد صبي نجار؛ أصبحت واحدا من كبار مصدِّري الأثاث في دمياط !

**الليلة .. .. المعبد الذي قضيتُ العمر أبنيه؛ انهدَّ فوق رأسي بنظرةٍ واحدة! ففي هذه الليلة التي اجتمع فيها بعض أولادي وأحفادي للاحتفال بعيد ميلادي الثالث والسبعين! وفي اللحظة التي كنت أستعد فيها لإطفاء شموع عمري؛ أصابني سهمٌ لا يخطئ مرماه! كسر كل أقفال قلبي؛ وألقى بها تحت أقدام الصغار الذين كانوا يرقصون ويغنون فرحا ببلوغي أرذل العمر!**

**نظرة واحدة منحتني سعادة تكفي لإسعاد العالم كله؛ هذه السعادة التي غمرت قلبي؛ جعلتني أدرك كم كنت ساذجا جدا؛ وغبياً جدا؛ لدرجة أنني حرمت نفسي طول هذه السنين من هذا الشعور الرائع الذي لا يمكن وصفه؛ والذي جعلني أشعر وكأنني أعيش ألف ليلة وليلة !**

**وجهٌ ملائكي الملامح؛ بابتسامة فاتنة؛ ونظرة ساحرة؛ بعث في قلبي الحياة؛ وجعله ينتفض من مثواه؛ ويزيح ركاما هائلا من الحرمان!**

**إنه وجه إحدى صديقات حفيدتي؛ وزميلتها في الدراسة؛ في العشرين تقريبا؛ أي أنها تصغرني بنصف قرنٍ من الزمان! يا إلهي أين كنت طيلة هذه العقود ؟!**

**لا أحد في هذا العالم – قبلها – أثرَ فيَّ كل هذا التأثير! إن لوجهها جمالٌ آسرٌ؛ ولنظرة عينيها سحرٌ كاسرٌ لا فكاك منه! حتى إن الجميع كانوا يسترقون النظر إليها!**

**انتهى الحفلُ؛ وآوى كلٌّ إلى مخدعهِ؛ أما أنا فلم يغمض لي جفن! وكيف أنام ؛ وأحرم نفسي من رؤية ذلك الطيف الجميل الذي لم يعد يفارق مخيلتي!**

**سبع ليالٍ مرَّت؛ وأنا أحاول أن أجد طريقة تحمل حفيدتي على دعوة صديقتها ــ ذلك الملاك الذي أسر قلبي وعقلي ــ إلى البيت؛ تحت أي مسمى! ولاحظت امرأة ابني ما جرى لي؛ بل ويبدو أنها عرفت ما أحاول إخفاءه ! إنها داهية لا تفوتها صغيرة ولا كبيرة؛ استطاعت أن تلعب بقلب ابني؛ وتتزوجه رغم أنفي!**

**هذه الداهية فوجئت بها تقنع ابنتها بدعوة صديقتها للمذاكرة معها؛ حتى أصبح وجودها شبه يومي! وأصبحت أنا شبه مقيم في شقة ابني! بل وبدأت هذه الشيطانة تتفنن في تهيئة الأمور لي ولصديقة حفيدتي حتى نكون على انفراد! فكانت تشغل ابنتها في أي أمر من أمور المطبخ؛ ثم تتسلل لمراقبتنا؛ كنت أشعر بوجودها وهي تتجسس علينا؛ إنها شيطانة؛ وأفكارها خبيثة مثلها!**

**كنت أعرف أن هذه الملعونة تدبر لي ملعوبا من ألاعيبها القذرة؛ التي تسببت في موت زوجتي الراحلة كمدا وحسرة! ومع ذلك غضضت الطرف عما تدبره لي؛ فكل ما كان يشغلني هو أن أحظى بأوقات أنظر فيها إلى ملاكي؛ وأتأمل وجهها المنير؛ وأسمع صوتها العذب؛ قلت لها مرة عندما تركتنا حفيدتي لأمرٍ ما:**

- **سمعت أنك متفوقة في دراستك .. .. ولذلك شجعت " نهى" على أن تطلب منك أن تذاكري معها!**
- **كنت متفوقة يا جدو .. .. لكن هذا العام درجاتي متدنية جدا .. .. حتى إن بابا يريدني أن أترك الجامعة !**
- **تتركي الجامعة .. .. معقول هذا الكلام؟!**

- لا .. .. أنا لا أريد أن أترك الجامعة .. .. بابا هو الذي يصر على أن أتركها .. .. وزوجته .. .. هي السبب !
- زوجة والدك .. .. هي والدتك .. ..
- ماما الله يرحمها .. .. ماتت من سنة .. .. الله يرحمها؛ كانت كل شيء بالنسبة لي !
- الله يرحمها .. .. الله يرحمها .. .. ووالدك تزوج بعد موتها .. .. أرجو ألا يكون هذا الأمر قد قلل من حبك أو احترامك لوالدك .. .. لا أحد يعرف ظروفه !
- لا يا جدو .. .. بابا تزوج .. .. وأمي على قيد الحياة؛ كانت مريضة؛ وراقدة في السرير؛

- **فوجئنا به يدخل علينا؛ وفي يده هذه المرأة؛ ويقول لنا أنها زوجته؛ وأمرني أنا وأمي المريضة بأن نخدمها! ماما لم تتحمَّل الصدمة؛ وماتت بحسرتها؛ ماتت من الذل والقهر؛ أما أنا فكل يوم أتمنى الموت حتى أستريح من العذاب الذي أعيش فيه!**

**نهران من الدموع سالا من عينيها؛ حاولتْ أن تتماسك؛ لكنها لم تستطع؛ أخرجتُ منديلا وبدأت أمسح دموعها؛ وددت لو أضمها إلى صدري؛ وأربت على كتفها؛ حتى أخفف عنها ما تجد؛ لولا وجه الأفعى الذي كان يظهر ثم يخنس في مرآة التسريحة!**

**حاولت أن تبتسم؛ وهي تقول لي:**

- **آسفة يا جدو .. .. أنا وجعت قلبك بحكايتي !**

- ماذا تقولين .. .. يا روحي .. .. أنا أعتبرك مثل " نهى " ؛ وأريدك أن تعتبريني مثلما تقولين جدك !

قلت هذه الكلمة؛ وإذ بدمعة كبيرة تنساب فوق خدي؛ لا أعرف كيف أفلتت من قبضة جفوني؛ مسحتها سريعا بيدي؛ في نفس اللحظة التي عادت فيها حفيدتي؛ فاستأنفت الفتاتان مذاكرتهما؛ وابتعدت عنهما حتى لا أشتت انتباههما؛ وجلست على الكنبة متأثرا حزينا أفكر فيما سمعته! بعد قليل سمعت صوت الداهية تنادي :

- يا " نهى " !
- نعم يا ماما !
- اذهبي يا حبيبة ماما .. .. وأحضري هذه الأشياء !
- يا ماما أنا عندي مذاكرة .. .. ولا يصح أن أترك " سلوى " وحدها !

- لا تقلقي .. .. جدو حبيبك سوف يجلس معها حتى تعودي؛ اذهبي وأحضري ما كتبته لك في هذه الورقة؛ حتى لا أتأخر في تجهيز الغداء !
- حاضر يا ماما .. .. أمري لله !
- نادي على جدك يدخل يونس صاحبتك .. .. لأني مشغولة في المطبخ ّ!

وبالفعل عدت إليها؛ فإذا بها تبتسم ابتسامة حزينة؛ رغم شلال السعادة الذي كان يغمرني لمجرد جلوسي معها؛ ورؤيتها؛ وسماع صوتها؛ إلا أنني كنت حزينا جدا من أجلها؛ وكنت متشوقا أكثر لمعرفة المزيد عنها؛ فبادرتها قائلا :

- **كل شيء يولد صغيرا ثم يكبر، إلا المصائب فإنها تولد كبيرة ثم تصغر! وأنا بحكم سني وخبرتي في الحياة؛ أقول لك لا تتركي الدراسة مهما حدث؛ التعليم هو سلاحك في الحياة .. .. و لا تيأسي .. .. وإذا احتجت أي شيء.. .. أي شيء .. .. اطلبيه مني .. .. لا تترددي !**
- **الحقيقة يا جدو الكلام معك جعلني أشعر براحة كبيرة .. .. من يوم موت ماما .. .. الله يرحمها .. .. كانت هي الوحيدة التي أستطيع أن أحكي لها كل شيء!**
- **الله يرحمها .. .. اعتبريني ماما .. .. المهم فضفضي؛ حتى لا يستولي عليك الهم واليأس!**

غمرتني السعادة؛ وأنا أرى وجهها يبتسم ابتسامة أنارت وجهها حتى بدا كوجه البدر ليلة التمام، ويبدو أن حفيدتي كانت قد عادت؛ فقد سمعنا أمها تقول بلهجة تملأها الدهشة :

- هل أحضرتِ كل المكتوب في الورقة !
- المكتوب كله يا ماما .. .. أرجوكِ .. .. أتوسل إليكِ ممكن أذاكر ؟!

ثم وجدتها توجه الكلام لي ، وتقول :

- ممكن يا جدو لو سمحت .. .. مرت ساعة .. .. ولم نذاكر أي شيء أنا و" سلوى" !
- طبعا يا قلب جدو .. .. طبعا يا روحي !

**لم أكن في حاجة إلى من يذكرني بأنني هرمت، فأنا منذ عشرين سنة أعددت كفني؛ واحتفظت به في خزانة ملابسي! وقسَّمت تركتي بين أولادي وبناتي؛ حتى لا تضيع حقوق البنات كما هو سائد في هذه الأيام! ونذرت نفسي للذكر والعبادة!**

**منذ عشرين سنة وأنا أتهيأ للرحيل غير طامع في يوم آخر أو حتى ساعة زيادة على العمر المقدَّر لي !**

**لكن بعد رؤية " سلوى " ؛ أصبحت ُلا أتقبل فكرة الرحيل! انقلبت حياتي كلها رأسا على عقب! لا أدري ماذا حدث لي؛ أصبحت أقضي الليالي ساهرا متحيرا أتساءل :**

- **أتكون امرأة ابني قد عملت لي سحراً؛ حتى أفتن بهذه الصبية؛ وأنا في ذلك العمر؟! ماذا سيقول عني أولادي وأحفادي ؟!**

**مرَّت أسابيع وشهور وأنا أتقلَّب بين الثلج والجمر؛ الدقائق التي أقضيها مع " سلوى " أشعر وكأني أتنعم في الجنة؛ والساعات الطوال التي تمر من عمري، وهي بعيدة عني أشعر وكأني أتعذب في الجحيم!**

**حتى جاء اليوم الذي كنت أخشاه، لأول مرة منذ وفاة زوجتي، يجتمع أولادي وبناتي كلهم؛ أولادي الأربعة؛ وبناتي الثلاث! عرفت فيما بعد أن دواهي .. .. أقصد الملعونة امرأة ابني؛ هي التي جمعتهم في شقتها! كان من الطبيعي أن أفرح لا سيما عندما رأيت ابني الأكبر الذي عاد من السفر لا أعرف كيف! وأنا الذي كنت ألح عليه، وأتوسل إليه أن يأتي لأراه؛ وأرى أولاده قبل أن أموت؛**

**وكان كل مرة يتحجج بشغله في البلد العربي الذي يبعد آلاف الأميال! ورأيت ابنتي الطبيبة زوجة المهندس التي آثرت أن تعيش مع زوجها في الوادي الجديد! كيف حضرت بهذه السرعة؟! وأنا الذي كنت أترجاها أن تحضر لأراها هي والأولاد قبل أن أموت! وكانت تتحجج بأنها لا يمكن أن تترك زوجها وأولادها وحدهم في هذه المحافظة النائية!**

**لم أصدق عينيّ وأنا أرى أولادي وبناتي كلهم حولي؛ كدت أطير من الفرح، وكنت أريد أن أحتضنهم جميعا ؛ لكن نظرات دواهي الشامتة وأدت فرحتي قبل أن تكتمل! كانت تمرر عليهم هاتفها؛ تلك الملعونة ماذا تريهم ؟! مشاعر كثيرة متضاربة كانت تعتريني في هذا الموقف العجيب الذي لم أعد له عدته! أقبلتُ على ابني الأكبر- الذي عاد من بعد غياب – لأحتضنه؛ فما كان منه إلا أن قطب ما بين حاجبيه؛ وقال لي مستنكرا، وهو يريني صورا على الهاتف المحمول:**

- **ما هذا .. .. من هذه .. .. ماذا يحدث ؟!**
- **ماذا حدث يا بني .. .. وما الغريب في هذه الصور .. .. إنها صديقة " نهى " .. .. وأنا أعتبرها مثل " نهي " .. .. أعاملها كحفيدتي !**

**سمعت دواهي الملعونة تقول؛ وقد ثقبت كلماتها المسمومة طبلتا أذنيَّ الضعيفتين :**

- **صحيح .. .. الشيبة عيبة !**

**انتظرت أن يرد عليها أحد أبنائي أو إحدى بناتي! ولكن يبدو أنها كانت قد جندتهم جميعا في صفها، ثم فوجئت بابنتي الطبيبة تظهر لي دفتر مذكراتي؛ وتفتحه وتقرأ بعض السطور! ثم تقول لي مستنكرة :**

- **معقول يا بابا .. .. تقول هذا الكلام .. .. إنني لا أصدق .. .. تحب بنتا من سن أحفادك ! أكيد أنت .. .. لا أستطيع أن أقولها !**

**كنت أريد أن أصرخ؛ وأسألها:**

- **من أذن لك بأن تأخذي هذا الدفتر .. .. كيف تسرقينه من تحت وسادتي ؟!**

**لكن قبل أن أفتح فمي؛ فاجأني أصغر أولادي؛ آخر العنقود؛ الذي دللته، لدرجة أنه كان يركب على ظهري، وكأنني حمار؛ سنّ لسانه ، وذبح به كرامتي وكبريائي، وهو يقول :**

- **لماذا لا تستطيعين قولها .. .. قوليها لعله يعود إلى رشده قبل أن يفضحنا.. .. قولي له إنه فقد عقله .. .. إنه جن .. .. أصابه الخرف .. .. والله العظيم المفروض نحجر عليه.. .. أفعاله الصبيانية هذه ممكن تدمرنا وتقضي علينا!**

**انفجرت فيهم بكل ما تبقى فيَّ من قوة، وصحت فيهم بأعلى صوتي :**

- **تحجروا عليَّ .. .. لقد وزعت عليكم ثروتي كلها .. .. على أي شيء ستحجرون ؟!**

**على قلبي .. .. لا .. .. لن أسمح لكم أن تحجروا على قلبي؛ أنا ضحيت من أجلكم بكل شيء .. .. ضيَّعت عمري كله عليكم .. .. مالي ؛ بيوتي؛ محلاتي .. .. كل شيء .. .. لم يبق لي إلا .. .. إلا .. ..**

**فجأة أظلمت الدنيا في عينيَّ، وعندما عاد الضوء، تغيَّرت الوجوه، لم أعد أرى وجوه أولادي أو بناتي! فقط وجوه فتيات صغيرات مثل " سلوى "! كلهن يرتدين ثيابا بيضاء!**

**إحداهن اقتربت من وجهي؛ حتى شعرت بأنفاسها الدافئة تداعب أنفاسي المتقطعة! ثم مرَّرَت أناملها الناعمة كالديباج على عنقي؛ سمعتها تقول لزميلتها :**

- **ليس أمامي إلا أن أركبها في رقبته !**
- **إلى هذه الدرجة عروقه ناشفة .. .. ليس فيها دماء .. .. أكيد من قلة الأكل؛ يبدو أن لا أحد يهتم به !**

**بعد أن ركبت ( الكانولا ) في رقبتي، انصرفت هي وزميلتها، لم أسأل أين أنا،**

**ولم أهتم بمعرفة ما حدث لي، فما رأيته في منامي كان كفيلا بأن ينسيني كل شيء! لم يكن وجه سلوى، بل كان وجه زوجتي الثانية؛ العاقر؛ أو التي كنت أظنها – بجهلي – عاقرا ! يا للعجب كيف لم أنتبه لهذا الشبه الكبير بينها وبين سلوى! لكأنها هي ! ليتني لم أطلقها! كانت تحبني لدرجة أنها قالت ، وهي تتوسل لي حتى لا أطلقها :**

**- تزوج كما تحب .. .. لكن أرجوك لا تطلقني .. .. وسوف أعيش خادمة لك ولمن ستتزوجها !**

**كانت تحبني؛ وكان ردي على حبها أنني طلقتها؛ وكسرت قلبها، إنني أستحق أكثر مما أنا فيه الآن!**

**2 / 9 / 2020 م**

# جلاد الغرام

لم أجلس قط في المقهى، ولكنني اليوم اضطررت للجلوس في أحد مقاهي السوق! لم أجلس في الداخل بسبب الدخان الكثيف؛ جل

ست على كرسي فوق الرصيف، فالأرصفة يبدو أنها لم تعد مخصصة للمشاة؛ بل أصبحت حقا أصيلا للمقاهي والمطاعم والمحلات!

لم أتوقف عن السعال؛ فمعظم من حولي يدخنون! الشاب الذي عن يميني، كان مثلي لا يكف عن السعال؛ قال لي :

- **هؤلاء هم الذين ثقبوا الأوزون .. .. ألا ترى سحب الدخان ؟!**

**ضحكت، وقلت له :**

- **رغم أنني أكاد أختنق بدخانهم .. .. إلا أنني أعذرهم!**
- **تعذرهم .. .. إنهم ينتحرون .. .. يحرقون صحتهم !**
- **أليس هذا أفضل من أن يموتوا من الهم والحزن .. .. إنهم يحرقون التبغ بدلا من أن يحرقوا أنفسهم ! لولا أنني مصاب بالحساسية في الصدر؛ لشربت مثلهم سيجارة أو شيشة !**
- **يااااه .. .. تتحدث كاليائسين .. .. رغم أنك كما يبدو لي لم تتجاوز الثلاثين !**

- **لقد كسرت حاجز الخامسة والثلاثين منذ ثلاثة أيام !**
- **تتحدث بمرارة شديدة .. .. إن كنت تريد عملا أخبرني .. .. توجد فرص كثيرة للعمل .. .. ولكن ما مؤهلاتك ؟**
- **أبواب العمل كثيرة أمامي .. .. لكنني لست في حاجة للعمل؛ وكان بمقدوري أن أعمل منذ سنوات فأنا خريج حقوق.**
- **أمر عجيب .. .. ولماذا لم تعمل محاميا ؟!**
- **أمي كانت تريد لي أن أصبح وكيل نيابة؛ أو قاضيا كوالدي، فعلت الكثير لأحقق لها حلمها؛ لكن الأمر كان يحتاج إلى وساطة كبيرة ، وللأسف لا نعرف أحدا هنا؛ فنحن من أسوان.**

- تقول أن أباك كان قاضيا !

- الحقيقة أمي حكت لي عنه الكثير .. .. لكنني لم أره يوما .. .. إنها تحلم أن أصبح رجلا عظيما مثله !

- كل هذا جميل؛ لكنني لم أفهم حتى الآن لماذا تبدو يائسا هكذا !

- لقد طلبت يانسون .. .. أتشرب يانسون؛ أم أطلب لك الشاي أو القهوة ؟

- يانسون .. ..

طلبت كوبا إضافيا من النادل الذي كان ينظر إليّ بطريقة مريبة منذ جلست! ثم بدأت أحكي قصتي؛ فقد كنت في حاجة ملحة إلى تخفيف العبء الثقيل الذي فوق رأسي !

- **الحقيقة أنا أعيش مع أمي في رغد من العيش؛ المعاش يكفينا؛ ويوفر لنا حياة كريمة؛ كما أن أمي لديها حساب كبير في البنك؛ ولدينا أراضي كثيرة في أسوان، رغم أنني لم أرها يوما، لكن أمي أخبرتني عنها.. .. باختصار لست في حاجة إلى أي عمل.. .. مشكلتي تتلخص في أنني تعودت منذ جئنا إلى هنا أن أعيش وحدي بلا أصدقاء ؛ وبلا أقارب .. .. عودتني أمي ألا أصاحب أحدا .. .. هل تصدق هذا ؟**
- **الوحدة كئيبة .. .. كان الله في عونك !**
- **بالعكس إنني سعيد جدا .. .. لكن المشكلة أن أمي منذ فترة تلح علي أن أتزوج !**

- **ها ها .. .. هذه ليست مشكلة تزوج؛ وفرح أمك .. .. في النهاية لا بد أن تتزوج !**
- **يا أخي أقول لك إنني أعيش حياتي ملكا .. .. وبصراحة لا أشعر بأي مشاعر تجاه أي فتاة .. .. لقد قرأت الكثير من القصص والروايات عن الحب والغرام والعشق والهيام .. .. وكلها في نظري بوابات للجحيم .. .. كيف أترك الجنة؛ وأقذف نفسي في النار ؟!**
- **تريد أن تقول أنك لم تحب، ولو مجرد حب عابر !**
- **لم يحدث .. ولا أريد أن يحدث !**
- **أكيد أنت شخص غير طبيعي .. .. لكن على كلٍ لا توجد مشكلة .. .. عش حياتك كما تريد !**

- أمي مصرة على أن أتزوج .. .. وبدأت تشك أن بي عيبا عضويا؛ وحجزت لي عند الطبيب !

- طبيب !! أنصحك أن تتزوج فورا .. ..

أحضر النادل كوب يانسون واحد؛ قلت له بغضب :

- لقد طلبت كوبين؛ ألم تسمعني ؟!

- والكوب الثاني لمن .. .. اشرب اليانسون يا محترم .. .. الله يكون في عونك !

وانصرف وهو يضرب كفا بكف! قال صديقي :

- لا عليك .. .. ليس من المهم أن أشرب شيئا !

- هذا النادل هل هو أعمى .. .. ألا يرانا اثنين ؟!

- دع أمر العامل .. .. وخذ بنصيحتي وتزوج قبل أن تتفاقم الأمور !

- **لكن المشكلة .. .. أتزوج من ؟! إنني لا أعرف أي فتاة .. .. هل تصدق أنني منذ جاءت بي أمي من أسوان إلى هنا، لا أعرف لنا أقاربا؛ ولم أصادق أحدا في المدرسة أو حتى في الجامعة .. .. حتى جيراننا لا نختلط بهم !**
- **ها ها .. ..**
- **هل الأمر مضحك إلى هذه الدرجة .. .. صحيح شر البلية ما يضحك !**
- **يا صديقي الفتيات مثل الأرز .. .. انظر أمامك .. .. تخيَّر واحدة؛ وسوف يأتيك نصيبك !**

**وضعت رأسي بين كفيَّ؛ ثم رفعتها ونظرت حولي فلم أجد أحدا؛ لقد اختفى وكأنه قطعة سكر ذابت في الماء! قمت من مكاني بعد أن دفعت حساب اليانسون، قررت أن أسير وراء أول فتاة تمر من أمامي ! ومع أن السوق كان في هذا اليوم مزدحما جدا بالمارة؛ إلا أنني وجدتها، كانت بصحبة امرأة كبيرة، وصبي؛ خمنت أن المرأة أمها؛ وأن الصبي أخوها! مشيت وراءهم ورأيتهم يدخلون عمارة أسفلها محلا كبيرا لبيع الفاكهة؛ أمامه يجلس شيخ طاعن في السن؛ تشجعت وسألته :**

- **ممكن أسأل سؤالا يا والدي ؟**
- **إذا كان عن الفاكهة .. .. تحت أمرك .. .. أما إذا كان عن بدر .. .. فالله يرحمك !**

- **الله يرحمني !! .. .. يا والدي .. .. البنت التي دخلت من باب العمارة ـ توا ـمع أمها وأخيها.. .. مخطوبة ؟!**
- **الله يرحمك يا ابني !**
- **يا والدي .. ..**
- **أنا لست والدك .. .. أنصحك تطير قبل ما يسمعك الدردير !**
- **دردير ؟!!**

**مؤكد هذا الشيخ مجنون؛ إنه طاعن في السن؛ يبدو في أرذل العمر! عدت إلى البيت فوجدت أمي قد جهزت نفسها لتذهب بي إلى الطبيب! فأخبرتها أنني وجدت فتاة أحلامي ! لم تصدقني في بادئ الأمر؛ وعندما تأكدت من صدقي؛ أخذت تبكي من شدة الفرح! قلت لها :**

- غدا بإذن الله أذهب لأسأل عنها وعن أهلها !
- غدا بإذن الله نذهب لطلب يدها .. .. من سنين يا نور عيني وأنا أنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر !

عشت أكثر من خمس وثلاثين سنة؛ كنت أظن من كثرة ما قرأت من كتب أنني تعلمت كل شيء؛ لكن في هذه الليلة أدركت أنني لا أزال أجهل الكثير والكثير ! لقد رحبت الأسرة بي وبأمي ترحيبا يفوق الوصف؛ حتى إن أمي - من فرط ترحيبهم – انتابها الشك أن العروس عانس أو بها عيب ما؛ لكننا عندما رأيناها عن قرب ذهلنا .. .. وجهها أجمل من بدر التمام؛ قوامها لا يشبهه أي قوام؛ لكنها – وللأسف – تصغرني بعشرة أعوام، كيف لم أنتبه لهذا ؟!

لم أر أمي قط بهذه السعادة! من النادر أصلا أن أراها سعيدة ؛ إنها دائما تشعرني أن هناك خطر قادم ! حتى إنها تقريبا لا تنام! لكنها في هذه الليلة ظلت تبتسم وتضحك؛ وكأنها أرادت أن تعوض سنوات الحزن والكآبة! حتى صك آذاننا صوت طلقات نارية؛ وقعت كأس الشربات من يد أم العروس؛ وفقدت الوعي؛ والبدر بجانبي تحوَّل إلى محاق؛ أما الأب فقد أسرع بذراعين مرتعشتين يغلق نوافذ الشقة كلها؛ وقد اصفر وجهه! وكأن ملك الموت بالباب؛ وعلى النوافذ! وما لبث التيار الكهربي أن انقطع؛ وأظلمت الدنيا، وأنا وأمي في ذهول تام؛ لا نعرف ماذا يحدث؛ حتى سمعت الصبي يقول :

**- الدردير وعصابته واقفين بالسواطير !**

**مر ّشهر على هذا الموضوع؛ الذي تسبب في إصابة أمي بداء السكر! والذي لم تكن تشتكي منه من قبل؛ وأصبت أنا بصدمة كبيرة؛ ربما هي أسوأ من الجنون! هؤلاء الرعاع شيعونا بأقذر الشتائم والسباب؛ وكادوا يعلقونني كالذبيحة لولا أن بعض الأهالي اتصلوا برجال الشرطة؛ وتحوَّل السوق إلى ثكنة عسكرية؛ وخرجت أنا وأمي وسط حراسة أمنية مشددة!**

**قالت أمي :**

**- لو كنا في بلدنا وبين أهلنا ما تجرَّأ هؤلاء الكلاب على إهانتنا هكذا !**

- إذا كان لنا أهل فلماذا لا نذهب ونعيش بينهم .. ..
- يا بني .. .. أبوك كان حكم على أحد تجار المخدرات بالإعدام؛ وبعد تنفيذ الحكم سمعنا أنهم أقسموا أن يقتلوا أباك؛ ويقطعوا سلساله؛ وفعلا قتلوه؛ فخفت عليك؛ وهربت بك إلى هنا؛ وتركت أسوان والصعيد كله؛ ولو كان فيه بلد أبعد من دمياط كنت هربت بك ولجأنا إليها!

بعدما كنت أقضي الساعات الطوال في البيت دون كلل أو ملل؛ أصبح بقائي في البيت جحيما! فنيران الغضب التي تسري في عروقي تكاد تحرق قلبي وعقلي وكبدي!

**على أحد المقاعد المنتشرة على كورنيش النيل بينما كنت جالسا أتجرع أحزاني، فوجئت بصديقي الوحيد يجلس عن شمالي؛ كان ينظر إليَّ وكأنه يعرف ما حدث؛ قال :**

- **عرفت بما حدث لك ولأمك .. .. لا أعرف ماذا أقول لك .. .. أشعر بالذنب.. .. لماذا لم تسأل الجيران قبل أن تأخذ أمك معك ؟!**
- **حتى لو كنت سألت؛ وعرفت أن هذه المسكينة مثل البيت الوقف بسبب هذا البلطجي؛ صدقني كنت سأذهب وأطلب يدها .. .. قل لي ما ذنبها .. .. وما ذنب أهلها الطيبين ؟!**

- **لكل شيء ضريبة .. .. وهذه ضريبة الجمال .. .. هذا المجرم يحبها لدرجة الجنون؛ ولن يسمح لأحد بالاقتراب منها؛ أي شخص سيتجرأ ويطلب يدها سيشوه وجهه.. .. إنه ليس مجرد مجرم عادي .. .. إنه زعيم عصابة !**
- **وهل تظن أنك بكلامك هذا ستجعلني أتراجع .. ..**
- **وماذا ستفعل .. .. هل تريد أن تموت؛ وتفجع قلب أمك المسكينة ؟!**
- **سأجن لو لم أفعل شيئا .. ..**
- **يكفيك ما أصابك !**
- **الموت أهون !**

- حسنا .. .. إذا كنت مصرا على أن تلقي نفسك في المهالك .. .. انتظر أسبوعا سأقابلك في هذا المكان بعد أسبوع؛ انتظر مني خبرا مفرحا!
- أي خبر ؟
- انتظر وسترى !

أغمضت عيني لحظة؛ وأنا أتنهد، وعندما فتحتهما لم أره اختفى؛ كأنما تبخر في الهواء !

في صباح اليوم التالي؛ استيقظ أهالي السوق على صوت سيارات الإسعاف؛ أكثر من عشر سيارات تنقل جثثا من أشهر بؤرة لتعاطي المخدرات؛ كان من بينهم الدردير ومعظم أفراد عصابته! كلهم ماتوا مسمومين! مجزرة لم تحدث من قبل!

مضت شهور؛ ولم يستطع رجال التحقيق الجنائي التوصل إلى من وضع السم في دست الماء المغلي في المقهى! ورغم أنها جريمة مروعة؛ إلا أن الأهالي جاهروا بفرحهم بالتخلص من هؤلاء المجرمين! ولم ينته العام إلا وكنت قد تزوجت من بدر؛ كانت أجمل ليلة في حياتي كلها؛ استعادت أمي عافيتها؛ وبدأت تتأقلم مع السكر، رغم أنه وحش كاسر؛ استطاعت ترويضه!

صديقي الوحيد رغم أنني ذهبت لأقابله على الكورنيش بعد أسبوع كما اتفقنا، إلا أنه لم يأت؛ والعجيب أنه اختفى تماما؛ لدرجة أنني بدأت أشك أنه هو الذي وضع السم للدردير وعصابته؛ هل اختفى بعيدا حتى لا يتم القبض عليه.. .. ربما هرب إلى أسوان؛ سيقضي الباقي من عمره خائفا كما هو الحال معي أنا وأمي!

14 / 8 / 2020 م

# الشيخة سلمى

قبل غروب الشمس بقليل، ذهب سالم نحو نزلة الترعة؛ كان يعرف أن أصحابه هناك، فقد كانوا يجتمعون كل يوم في هذا المكان؛ لشوي البطاطا التي يسرقونها من أرض البر الثاني، صحيح أنه لم يذهب معهم هذه المرة؛ لكنه كان على ثقة من أنهم لن يطيب لهم أكلها إلا وهو معهم !

أدركهم وهم يجمعون الحطب؛ أشعلوا النار؛ وجلسوا حولها يتسامرون، قال أحدهم :

- سالم ليس له نصيب في البطاطا هذه المرة؛ فهو لم يأتِ معنا !

- المرة السابقة صاحب الأرض كاد يمسك بي؛ ولو أمسكني فسيعلقني في شجرة الجميز !

ضحك أصحابه، وهم ينظرون إلى بدانته المفرطة؛ وقال آخر :

- كلما تذكرتك وأنت تجري .. .. أموت من كثرة الضحك .. .. والله العظيم شكلك يموت من الضحك وأنت تجري والفلاح يجري وراك !

لمحوا محمود الترامسي ينزل الترعة؛ كان يطمئن على الترمس الذي يغمره في ماء الترعة ! قال سالم متعجبا :

- ألا يخاف من الجارية .. .. كيف ينزل الماء والشمس قد غربت ؟!!

- يخاف ؟! .. .. ألا ترى عضلاته المفتولة .. .. يا ابني الجارية هي التي يجب أن تخاف منه .. ..

ضحك، وضحك الجميع، ثم فجأة تبخر الضحك في الهواء مع الدخان؛ وحل محله الذهول؛ واتسعت حدقتا عينيه وهو ينظر حيث كان يقف محمود الترامسي الذي اختفى فجأة؛ دون أن يترك أي أثر ! وكأنه فص ملح وذاب؛ وكأن الماء انشق وابتلعه؛ قام هو وأصحابه؛ وطافوا بأعينهم فيما حولهم فلم يجدوه !

**في دقائق معدودة انتشر الخبر في الحارة؛ وخرج الجميع يبحثون لكن دون جدوى ! وبعد ثلاثة أيام وجدوا جثته طافية عند الجميزة؛ وعلى جسده ووجهه علامات حمراء غريبة ! البعض قال أنها آثار تعذيب الجارية له ! والبعض الآخر قال إنها آثار أنياب تمساح !**

**لم يكن محمود الترامسي أول من يغرق في هذا المكان؛ لقد غرق الكثير من شباب الحارة؛ وكل مرة تأتي الكراكات لتنظف الترعة؛ وترفع الوحل والطين الراكد؛ ولم يحدث قط أن وجدوا أثرا لجارية أو تمساح ! لكن الكثير من الأهالي يؤكدون وجود الجارية؛ وبعضهم يقسم أنه رآها رأي العين!**

بمرور الأيام كان الجميع ينسون ما حدث؛ ويعودون إلى سيرتهم الأولى؛ فالترعة في هذه الأيام لا غنى عنها للكثير من الناس! وفي ظهر أحد الأيام الشديدة الحرارة؛ نزل الأولاد يسبحون ويغوصون في الترعة؛ كانوا يعومون مثل سرب البط والإوز الذي كان يعوم حولهم ويغطس ثم يطفو؛ وهو يلتهم الحبوب الخضراء الطافية على وجه الماء والتي يسمونها العدس الأخضر! كان الجميع في الماء ما عدا سالم الذي جلس فوق صخرة عالية؛ واكتفى بالمشاهدة؛ أشاروا إليه أكثر من مرة بالنزول معهم لكنه في كل مرة كان يأبى ؛ حاولوا إقناعه بأنهم سيعلمونه السباحة لكنه رفض مجرد المحاولة!

على الجهة الأخرى من الطريق ظهر ولد في مثل طول سالم؛ لكنه أنحف منه بكثير؛ كان يجر خلفه ثلاثة من الخيول القوية؛ شق الطريق دون تردد؛ فأجبر السيارات على التوقف؛ وعبر بالخيول نحو الترعة بخطى ثابتة ! وجهه كان صارما رغم صغر سنه!

ثم ما لبث أن نزل بخيوله في الماء؛ وبدأ ينظف جلودهم بقطعة قماش كانت معه؛ كل ذلك والأولاد في الماء لا يبدو منهم غير الرؤوس!

**من فوق الصخرة العالية؛ صاح سالم محذرا أصحابه :**

- **إنكم تقتربون من الجميزة .. .. عودوا وإلا سحبتكم الجارية !**

**رد عليه أحدهم ساخرا :**

- **الجارية لا تخرج في النهار يا فالح .. ..**

**خرج الولد من الترعة ساحبا خلفه الخيول بعد أن نظفها جيدا؛ وبينما هو يسحبها بكل ثقة؛ حرن أحدها ورفض الخروج من الماء؛ فأخرج الولد سوطا كان يربطه على وسطه؛ وأوسع الفرس ضربا حتى أجبره على الخروج ، كان الفرس يقفز ؛ ويرفس بخلفيتيه وهو في قمة الهياج والثورة؛ حتى كاد يرفس ذلك المتحصن بصخرته العالية؛ فما كان من سالم إلا أن تراجع ليتفادى الضربة القاتلة؛ فانزلقت ساقه؛ وسقط في الماء!**

**طفق يضرب يمينا ويسارا بذراعيهِ محاولا البقاء طافيا؛ لكنه لم يستطع! انتبه إليه أصحابه الذين كانوا قد ذهبوا سباحة إلى شجرة الجميز؛ وأصبحوا بعيدين عنه؛ سبحوا بأقصى طاقة لديهم ليدركوه قبل أن يغرق، لكنهم وصلوا بعد فوات الأوان! أخذوا يضربون الماء ويغطسون بحثا عنه؛ لكن كأن الماء انشق وابتلعه !**

**فجأة – وبعد أن اختفى تماما – سمعوا صراخه قادما من عند شجرة الجميز! رأوه وهو يطفو ثم يغطس عدة مرات؛ وكأن شيئا يجذبه للأسفل ! في نفس الوقت سمعوا صوتا جهوريا يصرخ فيهم محذرا :**

- الجارية سحبته .. .. اخرجوا من الماء قبل أن تسحبكم !

خرجوا فزعين من الماء؛ وقد امتلأوا رعبا؛ الولد صاحب الخيول كان يضع كفيه الصغيرتين فوق رأسه من هول ما رأى؛ لم تكن ملامحه صارمة كما كانت من قبل؛ عادت لوجهه ملامح الأطفال! علامات الذعر بادية عليه؛ والدموع تنهمر من عينيه!

توقفت بعض السيارات؛ وتجمع الكثير من الناس؛ وشقت الزحام امرأتان؛ تحَلَّق الأولاد حول أصغرهما؛ قالوا وهم يبكون :

- ابنك سالم .. .. الجارية سحبته .. .. غرقته عند الجميزة لطمت المرأة وجهها؛ وأخذت تصرخ؛ أمسكت المرأة الأخرى بكتفها؛ وقالت لها :

- صدقيني يا ابنتي .. .. سالم بخير .. .. الجارية لن تقتله .. .. هي أعطتني الأمان من سنين .. .. اطمئني يا ابنتي !

ثم صرخت بأعلى صوتها في الواقفين :

- يا عالم .. .. يا خلق .. .. ألا يوجد بينكم شهم ينزل الترعة؛ ويفتش عن حفيدي .. .. انزلوا يا خلق انجدوه !

**لم يتحرك منهم أحد؛ ظلوا في أماكنهم وكأن أقدامهم قد التصقت بالوحل والطين! فقد كانوا جميعا خائفين؛ انطلقت المرأتان تصرخان وتلطمان وجهيهما في يأس؛ وهما تحاولان النزول في الماء؛ والناس يمنعونهما ! فجأة على البر الثاني سمع الجميع صوت أحد الفلاحين ينادي :**

- **يا خلق .. .. اطمئنوا الولد موجود وراء الجميزة .. .. الولد بخير .. .. اطمئنوا !**

**لم يصدق أحد أذنيه؛ فالجميع كانوا يظنون أن سالما أصبح في عداد الأموات؛ المرأتان وحدهما كما يبدوا كانتا واثقتين أنه بخير! وما كان بكاؤهما إلا لحث الناس على البحث عنه!**

**قالت الكبرى وهي تمسح دموعها :**

- **ألم أقل لك .. .. سالم بخير .. .. ابنك بخير !**

**انطلقوا جميعا نحو الكوبري الخشبي المتهالك الذي يصل بين البرين؛ قابلهما الفلاح وهو يحمل جسد الصغير سالم؛ تهللت الوجوه عندما رأى الجميع صدر الصغير يعلو ويهبط؛ فزعت الأم عندما رأت آثار كف تبدو أصابعها على خده وكأنها آثار كيٍّ بالنار من شدة الاحمرار! صاح بعض الأولاد بفزع :**

- **الجارية ضربته على وجهه !**

**صاح الفلاح معترضا :**

- **أنا الذي ضربته كفًّا ً حتى يفيق؛ ويخرج الماء الذي ابتلعه !**

**في الدار، بينما سالم راقد في سرير أبويه ذي الأعمدة النحاسية؛ تحلَّق إخوته التسعة حول طبلية كبيرة؛ عليها أرغفة خبز ناشفة؛ ووعاء به مش؛ وقلة من الفخار؛ وجلست جدته وأمه يتهامسان مع أبيه على حصيرة على الأرض؛ كانت الجدة تقول :**

- **أولاد الحلال أخبروني إن الشيخة سلمي قالت إن الجارية وفت بالعهد؛ لكن سالم إذا نزل الماء مرة أخرى فلن يخرج منه !**

- والله يا أمي أنا محتارة أربطه في عمود السرير حتى لا يخرج .. .. طفل صغير كيف أحبسه في البيت ؟!

**قال الأب متعجبا، وهو يضرب كفا بكف :**

- والله يا جماعة كل هذا الكلام .. .. واعذريني يا خالتي .. .. هذا الكلام كله تخاريف .. .. و لا يوجد جارية و لا يحزنون .. .. والشيخة سلمى هذه مجرد دجال .. .. هو فيه رجل يسمي نفسه سلمى .. .. أكيد هو دجال ونصاب ومحتال !

- يا ابني الله لا يسيئك .. .. ألم تر أصابع الكف على خد ابنك .. .. ثم إن الشيخة سلمى ليس اسم مولانا إنما هو اسم الجنية .. .. الجن الخادم الذي يُعرِّفه الأسرار التي لا يعرفها غيره .. ..

- **يا خالتي .. .. أصابع الكف الحمد لله آثارها راحت .. .. لم يعد لها وجود .. .. ثم إن الرجل الفلاح قال إن هو الذي ضربه كفا حتى يفيق ويخرج الماء الذي ابتلعه .. .. شغلوا عقولكم يا عالم كفاية خرافات .. .. والله العظيم النكسة التي أصابتنا سببها هذا الجهل وهذه الخرافات .. .. الله يكون في عونك يا عبد الناصر!**

**ثم قام الرجل غاضبا؛ ورفع غطاء الزير؛ وقال متعجبا :**

- **الزير فاضي .. .. موضوع سالم شغلكم عن ملوه !**
- **القلل مليئة .. .. ستكفينا حتى الغد .. .. لا تحمل همًّا !**

ذهب الرجل؛ وارتمى على مرتبة على الأرض؛ ونام؛ ثم تبعه أولاده وبناته بعد أن انتهوا من تناول العشاء! وظلت المرأتان وحدهما تتهامسان؛ قالت الكبرى:

- ألا تذكرين وأنت صغيرة عندما حكيت لك أني رأيت الجارية عند الجميزة، وهي تمشط شعرها؛ كانت ستقتلني لولا أنني خلعت الكردان من رقبتي؛ والخلخال من رجلي؛ وأعطيتهما لها؛ عندها أعطتني الأمان أنا وكل سلسالي .. ..
- أذكر يا أمي .. .. أذكر .. .. سمعت هذه الحكاية ألف مرَّة !

- **إذن .. .. بإذن الله غدا نأخذ الولد للشيخة سلمى ترقيه؛ وتعمل له حجاب يحميه !**
- **لكن .. .. هو حلف عليّ بالطلاق ألا أذهب عند هذا الدجا ااااااال !**
- **دجال .. ..**
- **آسفة يا أمي .. .. لكن .. ..**
- **لا لكن .. .. و لا فاتن .. .. أنا سأذهب بنفسي بحبيب قلبي سالم .. .. وعليك يا فالحة أنت والأولاد تملأوا الزير والقلل والزلع من ( الطلمبة ) وإلا نموت من العطش !**

- حاضر يا أمي .. .. تصبحي على خير!
- تصبحوا على الحديدة أنت والمحروس بعلك يا قلب أمك !

في الصباح مع شروق الشمس؛ وأبو سالم يفتح باب الدار؛ ألفى زوجته خلفه! وكأنها تريد أن تقول له شيئا؛ بادرها هو قائلا :

- ماذا تريدين ؟!

ردت بتلعثم :

- لا شيء .. .. كنت أطمئن .. .. عليك !

أحسَّ بما تريد أن تفاتحه فيه؛ فقال لها مؤكدا :

- **لقد حلفت عليك بالطلاق .. .. إياك أن تطاوعي أمك؛ وتذهبي بسالم عند هذا الدجال!**
- **حاضر .. .. أنا أصلا ورائي غسيل ملابس؛ ومواعين؛ وملو الزير؛ والقلل .. .. يعني شغل يهد جبل .. .. اليوم كله سأقضيه أنا والأولاد عند ( الطلمبة ) !**

**خرج الرجل قاصدا عمله؛ وبينما هو يسير في شوارع الحارة التي لا يزيد عرض أحدها عن مترين أو ثلاثة! فوجئ بامرأتين تتعاركان بالأيدي؛ وكل منهما تريد إيقاع الأخرى على الأرض؛ وقف مذهولا لا يعرف ماذا يفعل؛ ثم تقدَّم منهما ليحجز بينهما؛ ويوقف هذا العراك العجيب! لكنه وفي ثوان معدودة وجد نفسه محشورا بينهما! وفجأة سقط الثلاثة على الأرض في الوحل والطين؛**

**توقفت المرأتان بعدما تمزق ثوب كل منهما؛ وبدت أجزاء من جسديهما! وانطلقت كل واحدة منهما نحو دارها في صمت! قام الرجل من على الأرض؛ وهو يسب ويلعن؛ فقد تمزق جلبابه الجديد؛ والتصق الطين به وبجسده؛ فاضطر إلى أن يعود إلى الدار؛ وهو يجرجر أذيال الحسرة؛ فزعت زوجته من منظره؛ وحسبته دخل في خناقة أو أن بعض البلطجية تعرضوا له! ومر في رأسها هاجس ؛ فسألته بذعر :**

- **ماذا جرى .. .. الجارية آذتك ؟!**
- **جارية .. .. قولي جاريتان .. .. الله يلعن النسوان .. .. ويلعن جيرتهم !**

- **لا يوجد في الدار ماء يكفي للاستحمام .. ..**
- **سأذهب لأستحم بماء ( الطلمبة ) وأنت جهزي لي غيارا؛ وأحضري لي الجلباب القديم.. .. بسرعة .. .. بسرعة .. .. تأخرت على شغلي !**
- **حاضر .. .. حاضر !**

**عشاءً عندما تشعل البيوت لمبات الجاز، والشموع؛ تبدو الحارة وكأنها بقعة بيضاء صغيرة في صفحة خضراء! إنها قرية وسط الأراضي الزراعية؛ ومع ذلك يطلقون عليها حارة شلهوب؛ شيوخ القرية وعجائزها يقولون أن شلهوب هذا هو أول من استوطن هذا المكان؛ فريق منهم يقول أنه أحد الصعاليك؛ وفريق يزعم أنه كان مجذوبا؛ وفريق ثالث يدعي أنه جان؛ لكنهم جميعا يتفقون على أنه الشخص الوحيد الذي أحبته الجارية؛ تلك الجنية التي اتخذت من جذع شجرة الجميز بيتا لها! وكانت تتسلل ليلا إلى داره القريبة من الترعة؛ تلك الدار التي تسكنها الآن الشيخة سلمى!**

في تلك الليلة كانت الدار تعج بالمريدين الذين جاؤوا طمعا في البركة؛ والزوار الذين جاؤوا بمشاكلهم التي استعصى على أهل الطب حلها! والجدة التي جاءت بحفيدها؛ جلست هي الأخرى تنتظر دورها! وعندما حان الدور؛ ودخلت به على الشيخة سلمى؛ فوجئ الصغير بكهل يرتدي ملابس النساء؛ والكثير من الحلي والزينة! صحيح أن دخان المباخر كان كثيفا إلا أن وجهه بدا واضحا! ومن العجيب أنه ظل يحدق في وجه الصغير سالم؛ حتى أن ذلك الأخير من شدة خوفه أخذ يلتصق بجدته؛ وكأنه يريد أن يختبئ بداخلها ! سمعه يقول له بلهجة غريبة :

- جدتك أخذت لك الأمان .. .. من سيدة نساء الجان .. .. ولولا ذلك .. .. لكنت الآن في خبر كان !

سأله سالم وهو يلتصق أكثر بجدته؛ وكأنه يطلب منها الحماية :

- ممكن أسأل سؤال .. .. إذا كنت رجلا لماذا ترتدي مثل الحريم ؟

- شلهوب يا شلهوب .. .. الولد يظهر إنه مسه مجذوب !

صرخت الجدة؛ وضربت بيدها على صدرها؛ وهي تردد بفزع :

- مسه مجذوب .. .. استر يا رب .. .. استر يا رب .. .. والعمل يا شيخة سلمى ؟!

- علقي هذا الحجاب في رقبته وسيكون في أمان وسلام .. .. و لا يخلعه أبدا حتى عند دخول الحمام !
- الله يبارك فيكِ يا شيخة سلمى .. .. دكر البط المرجان أسبوع ويكون جاهز لأجل يليق بمقامك أنت والأحباب .

قبل أن يخرجا جذب سالم جدته من ملابسها؛ ففهمت أنه يريد أن يُسر لها أمرا؛ خفضت رأسها فاقترب من أذنها حتى لا يسمعه غيرها؛ وهمس قائلا :

- جدتي .. .. أليس هذا هو نفس الكردان الذي كنت ترتدينه يوم زفافك؛ لقد رأيته يزين رقبتك في صورة زفافك أنت والمرحوم جدي !

**رفعت الجدة رأسها؛ ونظرت إلى رقبة الشيخة سلمى؛ فوجئت بأنه هو نفس الكردان؛ تساءلت في نفسها :**

- **كيف وصل إلى رقبة الشيخة .. .. أكيد الجارية أهدته إليها .. .. كراماتك يا شيخة سلمى!**

**خرجت الجدة بحفيدها؛ كانت الدنيا ظلاما خارج الدار؛ فأخرجت من سلتها لمبة الجاز؛ لكنها قبل أن تشعل فتيلها؛ فوجئت بوجه إحدى جاراتها وابنتها؛ كانتا قادمتين للشيخة لعمل حجاب يجلب عريسا ذا نسب وحسب؛ طال الكلام وتشابكت دروبه؛ وكان سالم قد أخذ لمبة الجاز من جدته ليحملها؛ ويخفف عنها؛**

**فاستغل انشغالها بالحديث مع الجارة وابنتها؛ وتسلل خفية؛ ودار حول الدار وهو يسكب الجاز على الجدار؛ صحيح أنها مبنية بالطوب اللبِن؛ لكن دعائمها كانت من الخوص والجريد وكذلك السقف! وما أسرع ما شبت النار؛ وبدأت ألسنة اللهب تزداد؛ والدخان يتصاعد ويملأ الأرجاء! وتسابقت كل بنات حواء في الخروج من الدار - التي باتت تحترق- وقد ملأن الفضاء صراخا من شدة الذعر الذي أصابهن!**

على مقربة من باب الدار؛ اختبأ سالم خلف شجرة نبق تطل على الترعة؛ وعندما رأى الشيخة سلمى خارجة من الباب وهي في حالة من الخوف والهلع؛ تحمل على رأسها لفة كبيرة وثقيلة ؛ هجم عليها؛ وانتزع الكردان من رقبتها؛ ثم انحنى وأمسك بإحدى ساقيها يبحث عن الخلخال؛ فوقعت على الأرض وطارت اللفة التي معها وانفكت عقدتها؛ فظهرت محتوياتها الثمينة؛ والتي أخذت تلمع وتتلألأ أمام أعين الناس الذين كانوا قد تجمعوا بسبب الصراخ والدخان!

**عاد سالم إلى شجرة النبق بعد أن أنهى ما أراد؛ واختبأ خلفها، أهل الحارة الذين تجمعوا انقسموا فريقين؛ فريق يريد أن يطفئ النار؛ والفريق الآخر يرفض ذلك ويرى في هذه النار خلاصهم من ذلك النصاب؛ لا سيما بعد أن رأوا بأعينهم الذهب والحلي والمال الذي في اللفة الكبيرة ! وسط هذه المعركة الكلامية الحامية الوطيس؛ رأى سالم أبويه وسط الناس يسألان بلهفة عنه وعن جدته؛ ورأى الجارة وابنتها، ولم ير جدته بينهم؛ فخرج مسرعا نحو الجارة يسألها بخوف :**

- **أين جدتي ؟!**

- يا ملعون .. .. أين كنت أنت .. .. جدتك برج من رأسها طار عندما التفتت ولم تجدك .. .. ودخلت الدار تبحث عنك !

صرخ الولد بأعلى صوته؛ وانطلق يجري نحو الدار التي أصبحت جحيماً :

- جدتي .. .. جدتي !

لحقه أبوه؛ وأمسك به قبل أن يقذف نفسه في النار؛ أخرج سالم الكردان والخلخال والدموع تغسل وجهه وتبلل ملابسه؛ أمسك أبوه بهما؛ وهو لا يصدق عينيه؛ وسأله بذهول :

- **كردان وخلخال جدتك .. .. أين وجدتهما ؟!**
- **أرجوك يا أبي .. .. لو أنك تحبني اتركني !**
- **أتركك ترمي نفسك في النار .. .. لا يا بني .. .. جدتك الله يرحمها .. .. لا يمكن أن يخرج أحد حيا من وسط هذا الجحيم !**
- **لن أذهب ناحية النار .. .. أريد فقط أن أذهب عند شجرة النبق !**

رغم دهشته وذهوله؛ سار معه حتى الشجرة؛ وعندما وصلا؛ أمسك سالم الكردان والخلخال؛ وقذفهما في مياه الترعة أمام أبيه الذي كاد أن يُجن؛ وهو يرى ابنه يرمي الثروة الكبيرة التي لم يفرح بها أكثر من لحظات! سمع الاثنان صياح بعض الأولاد؛ فانطلق الجميع نحو الصوت؛ قذف سالم بنفسه في أحضان الجسد الراقد بين الحشائش؛ اطمأن إلى أن صدرها يعلو ويهبط؛ قال والدموع لا تزال تجري من عينيه:

- كان نفسي أرجع لك الكردان والخلخال يا جدتي !

- يا نور عيني .. .. أنت أغلى عندي من كنوز الدنيا كلها !

31 / 8 / 2020 م

# صديقي الثري !

كل مرة كنت أقسم ألا أعود إليه مرة أخرى مهما حدث ، وكنت أعرف أنني سأحنث في قسمي ! وما أكثر ما عاتبتني زوجتي لدرجة أنها كانت تصرخ في وجهي من شدة الغيظ :

- أين كرامتك .. .. أين كبرياؤك ؟!

وكان ردي جاهزا دائما ، مثل وجبة ( تيك أوي) ، وكان يجري على لساني رغم ضجري منه ؛ فليس أمامي تبرير آخر :

- لا كرامة لمن يسمع أبناءه وهم يضجّون من الجوع .. .. لا كبرياء للفقراء أمثالي !

**صحيح أنني أعمل منذ سنوات في ورشة كبيرة لتصنيع الأثاث ؛ لكن الأجر الذي أناله لم يعد يكفي احتياجات أسرتي منذ أن ولّى العهد الذهبي للنجارة ! وبدأت الكثير من الورش تغلق أبوابها ، وهرب أربابها فرارا من الغارات الشعواء للفقر والجوع الأسود ؛ ولجأوا إلى مهن أخرى ؛ فاشتغل الكثير منهم في المقاهي والمطاعم التي انتشرت ، وحلت محل الورش ، بينما آثر البعض أن يسافر ويبتعد عن طوفان الكساد الذي ظهرت نذره في الأفق!**

**تغيرت الدنيا ، وما كان يكفينا بالأمس أسبوعا كاملا ، أصبح الآن لا يكفي إلا يوما واحدا ! حاولت بشهادتي أن أفوز بوظيفة ؛ تحفظ لي ماء وجهي في هذه الأيام الكاسرة ، وتوفر لي راتبا مضمونا ،وترحمني من غدر الأيام ؛ لكن من كان بلا ظهر مثلي ، فليس له إلا مصمصة الشفاه كما يقولون !**

**كنت أعود من شغلي خائر القوى ، كثور الساقية الذي لا يكف عن الدوران ، فأجلس بين زوجتي وأولادي عشاءً لنتناول الغداء ! وكأننا نجمع بينهما جمع تأخير! وعندما كانت الورشة تغلق أبوابها لأي سبب ؛ كنت لا أنجح إلا في توفير وجبة واحدة فقط ، و بصعوبة بالغة !**

**حتى ظهر هذا الشخص في حياتي مثل شجرة يابسة انكسرت من شدة الريح ، وسقطت في منتصف الطريق ! قابلته في حفل توزيع جوائز القصة ، فقد كانت هوايتي الوحيدة هي الكتابة ، وكنت قد اشتركت في مسابقة متواضعة للقصة ،**

ورغم معرفتي مسبقا بأن مبلغ الجائزة تقريبا مساوٍ لما سأنفقه في كتابتها على الكمبيوتر ، وتحميلها على اسطوانة ، وطباعتها وتصوير النسخ المطلوبة منها ؛ إلا أنني كنت مصرا على الاشتراك ؛ فقد كنت في أمسِّ الحاجة إلى بعض الدعم المعنوي الذي أفتقده بشدة وأنا وسط طوفان الحياة المادية الجارف !

وبالفعل منحتني الجائزة - رغم ضآلتها – بعض الثقة المفتقدة ، وأكثر من ذلك فرحة زوجتي وأولادي في هذه الليلة السعيدة ؛ حتى أنني شعرت بهرمون السعادة يتدفق في شراييني بكميات كبيرة !

**و قبل انتهاء الحفل بقليل ، خرجنا من قاعة الفندق الذي لم أدخله في حياتي إلا هذه المرة اليتيمة ! ثم انطلقنا للاستمتاع بفسحة مميزة في رأس البر؛ التي حُرمنا من الذهاب إليها منذ سنوات بسبب الظروف المادية الخانقة ! وقبل أن نبتعد فوجئت به يتوقف بسيارته الفارهة ، ويعرض عليّ توصيلنا حتى باب البيت ! لم أعرفه رغم أنه كان علما من أعلام البلد كما عرفت فيما بعد ! أخبرني أنه كان في الحفل ، وأنه معجب جدا بقصتي وبأسلوبي في السرد ، وأنه يرغب في مناقشتي بخصوص القصة ، وأعطاني كارت التعريف الخاص به ، وأخبرني أنه سيكون في غاية السعادة إذا شرفته في معرضه ! وظل يمدحني ، ويثني علي طريقتي في الكتابة وأنا وسط زوجتي وأولادي مثل البالون الذي يوشك أن ينفجر من شدة النفخ فيه !**

شكرته ، وذهبت بأسرتي الصغيرة للتنزه في ( الجربي ) متجهين نحو ( اللسان ) بمحاذاة النيل ، كانت ليلة من أجمل ليلات حياتي ، كدت أطير فيها من السعادة ، وأنا أرى الفرحة تطل من عيون زوجتي وأولادي .

في اليوم التالي ، وبعد أن أنهيت عملي في الورشة ذهبت إليه في العنوان الذي ذكره لي ، والمكتوب على الكارت ، وعلى الرغم من ملابسي التي تبوح بأنها قديمة جدا ، والنشارة التي تعفرها وتعفر شعر رأسي ووجهي ؛ فقد رحب بي ترحيبا كبيرا وكأنني عريس جاء يطلب يد ابنته ! مع أنني عرفت بمرور الأيام أنه ليس له إلا ولد وحيد في طور الشباب ، و أن ولده هذا بمجرد أن أتم تعليمه سافر إلى لبنان !

**دارت الأيام ، وصديقي الجديد الثري يُظهر لي الود الشديد ، ويدعوني باستمرار إلى مجلسه الفخم الذي كان لا يجالسه فيه إلا علية القوم، وكان يقدم لي كل ما لذ وطاب من الطعام والشراب ، والعجيب أنني لم أره يوما يتناول قطعة واحدة من الحلويات ! عرفت بعد ذلك أن كبده تالف ؛ وأنه سيجري عملية زراعة كبد ، وأن المسألة مسألة وقت حتى يجدوا متبرعا أو كبدا مناسبا له ! فوجئت به كل يوم ؛ يأمر أحد عماله بتجهيز علبة كبيرة مليئة بالفطير والبريك وبعض الحلويات ؛ وينفحني بها بعد انتهاء الأمسية ؛ وكنت أدخل على زوجتي وأولادي المحرومين ، فيكادون يحملونني من على الأرض حملا !**

مرت الأيام ونحن على هذه الحال ، وأحيانا عندما كانت الورشة تغلق أبوابها ؛ كنت أقترض منه ، وكان لا يتأخر في إقراضي ، رغم أنني كنت أسمع أصدقاءه ، وعماله يصفونه بالبخل الشديد !

أصبحت الأمسية ثابتة في برنامجي اليومي ؛ لا يمنعني عنها تعب ولا مرض ! وذات مساء تشجعت وطلبت منه أن أعمل عنده في المصنع مجرد عامل ، أو في أحد محلات البيع بائعا أو ( كاشير ) ، كنت واثقا من أنه لن يرفض طلبي ؛ لكنه رفض وبشدة ، وتعلل بأننا أصدقاء ، وأنه يعتبرني أخاه الذي لم تلده أمه ، وأنه يتحرَّج من أن أعمل عنده ، فالعمل عنده - على حد قوله - أشغال شاقة !

**كانت صدمة كبيرة لي ؛ فلم أتوقع بعد كل هذا الترحيب أن يرفض اشتغالي عنده ، لا سيما أن الورشة أصبح العمل فيها نصف يومية فقط ، وكثيرا ما كانت تغلق أبوابها**

**رغم ذلك ، ظللت أذهب إلى أمسياته التي كان يفتتحها دائما بقوله المعتاد :**

**- ما الجديد .. .. ( يا أبو زيد ) ؟**

**كان يحاول التحدث بالفصحى مع أنه - كما عرفت من مخالطتي له – لم يكن يجيد القراءة والكتابة ، والشهادة الوحيدة التي حصل عليها – كما أخبرني هو بنفسه – هي شهادة محو الأمية التي اضطر لشرائها بالمال ليتمكن من استخراج رخصة قيادة !**

**كنت أروي له قصصي التي ألفتها ، وكان اهتمامه الكبير الذي يبديه يشجعني على أن أسرد حتى أدق التفاصيل ، وفي كل مرة كان يدور بيننا نقاش جيد حول ما أسرده له من قصصي ، والعجيب أنني أحيانا كنت أذهب إليه خاوي الوفاض ، ولكن بمجرد أن يبادرني بسؤاله العجيب :**

**- ما الجديد .. .. يا ( أبوزيد ) ؟**

**أجد سماء الإلهام قد فتحت أبوابها ، وأفاجأ بلساني يسرد وقائع قصة جديدة وليدة اللحظة !**

**وكنت أحكي لزوجتي كل صغيرة وكبيرة ، ومن العجيب أنها كانت تحذرني منه ، بل وتطلب مني الابتعاد عنه ، لدرجة أنها كانت تقول لي :**

- **يا ( أبو زيد ) ! التجار فجار ، وهذا الرجل لم يرحب بك ،ولم يصاحبك رغم فقرك إلا لأنه يطمع من وراء كل هذا في شيء لا تعرفه !**

**ضحكت من كلامها كثيرا ، وقلت لها :**

- **الرجل الغني .. .. يطمع في العبد الفقير .. .. فيما سيطمع ؟ هو فقط معجب بطريقتي في الكتابة .. .. إنها هواية .. .. مجرد هواية ، مثل ملايين الناس الذين يحبون مشاهدة كرة القدم أو المصارعة !**

فوجئت بها ، تداهمني بكلمة وقعت على رأسي مثل صخرة صلدة ، وتقول لي :

- ربما يريد سرقة قصصك !
- ها ها .. .. يسرق قصصي .. إن معرفته بالقراءة والكتابة ضعيفة جدا .. .. لا .. لا .. ثم إنه صاحب أكبر مصنع للحلويات ، ولديه الكثير من الأموال .. .. فلماذا يسرق قصصي ؟!!

جرى الكلام على لساني ، دون تدخل مني ، لا أدري كيف حدث ذلك ، فقد كنت أحاول إقناعها ، بينما كانت قناعتي أنا تتحول إلى قطعة جبن مليئة بالثقوب !

**رغم انتهاء الحوار إلا أن كلمة ( سرقة ) ظلت تتردد ، وظل صداها يعلو في رأسي ، حتى كادت رأسي تنفجر ، فلم أنم ليلتي تلك ، وخرجت أبحث عن ( سايبر ) وأنا أعرف أن مثل هذه المحلات لا تغلق أبوابها إلا فجرا ! طلبت من صاحب ( السايبر ) أن يبحث لي عن صفحة صديقي الثري على ( الفيس بوك ) وأخبرته اسم الصفحة ، فرغم أن صديقي لم يكن يطلعني على هاتفه المحمول الذي لم يكن يفارق أصابعه لحظة ، إلا أنني لمحت اسم صفحته ذات مرة !**

غامت عينيَّ ، وأحسست بطعم الدم في فمي وأنفي ، وأنا أشاهد قصصي بحذافيرها مكتوبة ، وموثقة باسمه هو ! ربما لو كانت صدمتني مقطورة كبيرة ، ما كنت شعرت بكل هذه الآلام المبرحة التي انتشرت في رأسي ، وبدأت تصل إلى قلبي !

مرَّت هذه الليلة عليَّ وأنا شبه ميت ! ولم أخبر زوجتي بشيء ، خشيت أن تصاب بالجلطة التي كنت أشعر بأنها على وشك أن تصيبني !

وطلع النهار وليس في جيبي من المال حتى رائحته إن كانت له رائحة ؛ فخرجت أدور في الشوارع مثل المتسولين ؛ فالورشة مغلقة ! والأولاد يتضورون جوعا ؛ وقبل موعد الأمسية اليومية وجدتني أجلس في مكاني المعتاد ! رأيتني أجلس أمامه كالأبله ! والعجيب أنه لم يسألني سؤاله المعتاد ، بل بادرني بقوله :

**- لدي قصة .. .. أريدك أن تكتبها بأسلوبك الجميل .. .. إنها قصة واقعية .. ..**

**وبدأ يحكي حكايته .. .. كنت متعبا جدا بسبب سهري طول الليل ، ورغم ذلك أخذت أنصت لما يقول ، فوجئت به يخبرني بحكاية ابنه الوحيد الذي تركه وسافر إلى لبنان ، أخبرني أنه كان ينتظر أن ينهي ابنه تعليمه حتى يساعده في إدارة أعماله في المصنع والمحلات ؛ ولكن ابنه كان له رأي آخر ، كان يريد أن يبدأ من الصفر فطلب من والده مبلغا من المال ليبدأ مشروعه ، وبالطبع رفض ، فما كان من الولد إلا أن سافر ، وترك له البلد !**

**قال أنه كان يراسله ، ثم بعد فترة انقطعت أخباره ! لقد فعل الكثير ليصل إليه ؛ أبلغ السلطات المسئولة في مصر ، وفي لبنان بل ودفع لشركة أمن خاصة للبحث عنه ، وحتى الآن لم يعثر له على أثر !**

**إنه فقط يريد رؤيته قبل أن يذهب لعمل عملية زراعة الكبد ، فقد أخبره طبيبه أنهم أخيرا عثروا على كبد مناسب له ، والعجيب أن العملية ستتكلف مائة ألف ، إنه نفس المبلغ الذي طلبه منه ابنه من قبل ليبدأ مشروعه الخاص !**

**أخبرني أيضا أن طبيبه يقول له أنه محظوظ جدا ؛ لأن تحاليل الكبد الذي سيزرع له تؤكد أنه يناسبه جدا بصورة لا تحدث إلا عندما يكون المتبرع قريبا له من الدرجة الأولى !**

رأيت دموعه لأول مرة وهو يقول لي أنه تعيس جدا ، لأنه سيكون بين الحياة والموت ، بينما هو لا يعرف عن ابنه الوحيد أي شيء !

سهرت أياما في كتابة القصة ، ومرت أسابيع ولم أستطع إنهاءها فرغم التفاصيل الدقيقة التي كان صديقي اللص قد أخبرني بها إلا أنني لم أستطع أن أكتب نهاية ترضيه ؛ فقد كنت حريصا على أن أكتب نهاية تعجبه ؛ لكن قلمي كان دائما يأبى ذلك ! ليس انتقاما منه ، ولكن لأن السياق كان دائما يجرفني كالشلال نحو نهاية مفجعة ، نهاية مفزعة لا أستطيع تغييرها !

**فكلام الطبيب عن الكبد الذي تظهر التحاليل أنه مناسب له تماما ، وكأنه جاء من متبرع قريب له من الدرجة الأولي ، مع اختفاء ابنه الوحيد بهذه الطريقة الغامضة في جبال لبنان ؛ لم يتركا لي خيارا آخر !**

**كان قد أقرضني مبلغا كبيرا من المال ، قبل ذهابه لإجراء العملية ؛ على أمل أن أكتب له هذه القصة ، ولكنني وبعد شهور عديدة لا أستطيع أن أخبره بها !**

**سددت له ما عليَّ من دين ، ولم أعاتبه في سرقته قصصي ، بل لم أفاتحه أصلا في هذا الأمر ! ولم أذكر له شيئا مما يراودني من أفكار بالنسبة لابنه ، فقط بدأت أنسحب شيئا فشيئا ، أما بالنسبة لقصته التي كتبتها ؛ فها هي ترى النور لأول مرة بعد أن ظلت حبيسة أكثر من عشر سنوات ، لقد قررت أخيرا أن أشارك بها في إحدى المسابقات ، بعدما علمت برجوع الابن الضائع من لبنان !**

**12 / 7 / 2020 م**

# النسر والأرملة السوداء

**أحاول أن أكتب قصتي، لكن الورق لا يسعفني، كلما اقتربت من إنهاء ورقة بلَّلتها دموعي! وبمجرد أن تمتزج الدموع بالحبر؛ تتحوَّل الحروف والكلمات إلى بقعٍ كبيرة؛ يستحيل على أي شخص أن يقرأها، حتى عليّ أنا مع أنني أنا الذي كتبها !**

**بعد محاولات عديدة، ألقيت الأوراق كلها في سلة المهملات؛ وكسرت القلم؛ وقذفت به فوق الأوراق، مرَّت دقائق وأنا أنظر في ألبوم الصور في محاولة مني لنسيان فشلي في الكتابة، الصور تذكرني بأجمل أيام عمري؛ زفافي أنا وأميرة، حب حياتي، كنت وقتها ملازم أول بنجمتين، واليوم أصبحت أحمل على كتفي نسرا، والجميع ينادونني " سيادة الرائد "**

هدأتُ قليلا، فمددت يدي في السلة؛ وأمسكت إحدى الأوراق! انتابتني الدهشة عندما نظرت إليها، وقلت متعجبا :

- ربما قصتي فعلا مبهمة وغامضة مثل هذه البقع التي لا يمكن قراءتها أو تفسيرها!

أضاءت في رأسي المتعب فكرة أعجبتني؛ على الفور أمسكت هاتفي النقال؛ وشغَّلت برنامج مسجل الصوت، إنني لن أُطِيل، فقط سأذكر بعض الأمور التي تهم زوجتي أميرة وابنتي التي لم تأت بعد، الدموع لا تتوقف، يبدو أنه مرض ما، مثل هذا المرض النادر الذي أخبرني الأطباء منذ أيام أنني مصابٌ بهِ!

من أين أبدأ ؟! الكلام يذوب ويختفي مثل الملح! أطفأت الجهاز؛ وأعدت تشغيله أكثر من مرة! وأخيرا انفكت عقدة لساني، ووجدتني أتكلم وأقول :

- زوجتي الحبيبة؛ أميرة؛ ابنتي يسرا التي لن أستطيع أن أراها أو أقبِّلها أو أضمها إلى صدري ..

اختنقت الكلمات في حنجرتي؛ وانفجرتُ باكيا؛ نوبة شديدة من البكاء المتواصل جعلتني أتذكَّر تعنيفي وتوبيخي لأحد الجنود عندما انهار باكيا؛ وهو يرى أشلاء رفاقه تتطاير أمام عينيه؛ بسبب انفجار لغم أرضي؛ أتذكَّر جيدا أنني – رغم هول المشهد – قلت له بكل صلف وغرور :

- امسح دموعك يا عسكري! الجندي المقاتل لا يبكي مهما حدث؛ البكاء فقط للنساء!

**لم تمض دقائق حتى انفجر لغمٌ آخر جعله يلحق بزملائه بأسرع مما يمكن تخيله! وعدت وحدي بعدما فقدت كل من كانوا معي في هذه المهمة! عجبا كيف لم أنتبه لكل هذا ! عمليات كثيرة في منطقة العلمين استُشهد فيها الكثير من الجنود والضباط، وكنت أنا الوحيد الذي يعود في كل مرة سليما! لم أصب بخدشٍ واحدٍ في أي عملية من عمليات التنقيب عن الألغام! لا يمكن أن يكون هذا مجرد مصادفة! الأعجب من ذلك أنني منذ بضعة شهور أشعر بآلامٍ تتزايد في قلبي؛ وفي أعلى الرأس؛ وأشم رائحة الدم داخل أنفي؛ إحساسٌ فظيع بأنني أنزف من الداخل، شعورٌ دائمٌ بأن تحت فروة رأسي شلال هائلٌ من الدماء!**

وعندما ذهبت إلى المستشفى العسكري؛ وبعد الأشعة والفحوصات والتحاليل، فوجئت بما لم يكن في الحسبان، أنا الذي يحسدني كل زملائي ويلقبونني دائما بالمحظوظ؛ أبلغني الأطباء بأنني سأموت خلال أيام !

- يا إلهي! أيام فقط، ليست أسابيعا أو شهورا !
- للأسف ..
- وما هذا المرض الذي اختصر عمري كله في بضعة أيام؛ من حقي أن أعرف اسم المرض الذي أصابني!
- للأسف، إنه مرض نادر، ومعلوماتنا عنه قليلة جدا !
- أليس له علاج؛ عملية تنقذني من الموت ؟!

- للأسف، لا .. لا يوجد علاج، ولم نتوصل لعملية يمكن إجراؤها للتخلص من هذا المرض!

- سيدي! زوجتي حامل وعلى وشك أن تضع، بعد شهر أو اثنين سأصبح أبا، ألا توجد طريقة؟ لا أطمع في أكثر من أن أعيش حتى أرى ابنتي، الطبيبة أخبرتنا أنها أنثى ولذلك قررت أنا وزوجتي أن نسميها يسرا؛ فقد صبرنا أكثر من تسع سنوات حتى تحقق حلمنا!

غلبني النعاسُ، وقطع حبل أفكاري؛ لكنه لم يوقف دموعي التي ظلت تسيل حتى وأنا نائم! كانت زوجتي عند أمها، ولو علمت بوجودي في الشقة لجاءت على وجه السرعة؛ لكنني لم أستطع إخبارها بوجودي، كما أنني لم أخبرها بأنني سأموت؛ إنها تحبني ولن تتحمَّل الصدمة؛

**وقد يصيبها مكروه هي والجنين، لا؛ لن أخبرها! لقد تحمَّلت معي الكثير؛ وضحت من أجلي؛ وصبرت تسع سنين؛ ولم تجرحني يوما؛ رغم أنني كنت أنفعل كثيرا عليها؛ مع ذلك لم تعايرني يوما بأنني السبب في عدم الإنجاب! كم من المشاكل افتعلت أمها طمعا في تطليقنا، فقد كانت تتوق إلى حفيدٍ أو حفيدةٍ؛ لكن أميرة كانت دائما تنصفني وتقف في صفي؛ يا الله! لو كنت أعرف أنني سأموت ما أغضبتها يوما؛ ولكنت أسعدتها بكل طريقة!**

**لم يطل نومي! وعندما نظرت في الساعة، عرفت أنها كانت غفوة! أنى لمثلي أن ينام؟! من علم أن الموت يطلبه كيف يهنأ ويرتاح؟! أيام قليلة وأدخل قبرا ضيقا مظلما! ربما من الأفضل لي أن أخرج وأعيش ما تبقَّى لي من أيام؛ وأمتع نفسي؛ وأعوض عليها ما فاتها! لا، لا .. الأفضل أن أستعد للموت، وللقبر! نعم القبر ذلك المكان الضيق الذي نذهب إليه ولا نعود منه! دخلت الدولاب؛ ثم أغلقته وأنا في داخله! كدت أختنق؛ ففتحته بسرعة؛ وخرجت؛ وأنا أسعل سعالا شديدا من الأتربة المتراكمة بداخله! رفعت ملاءة السرير**

**وتدحرجت؛ حتى أصبحت ممددا تحته؛ ووضعت ذراعي اليمنى فوق اليسرى متعانقتين على صدري تماما مثل المومياء! ثم أغمضت عينيَّ، وكأنني أختبر نفسي لحظة الموت! يبدو أنني أصبت بالجنون! عندما هممت بالخروج من تحت السرير، سمعت باب الشقة يُفتح؛ فتجمَّدتُ في مكاني، وجففت دموعي بأكمامي؛ وأخذت أهيئ نفسي، فليس من مصلحة زوجتي الغالية أن تراني وأنا على هذه الحالة! وأنا أقلب أفكاري يمينا وشمالا بحثا عن أي موضوع أشغلها به؛ حتى لا تلاحظ حزني وانكساري! صك أذني صوت أمها! قلت لنفسي متسائلا :**

- **ما الذي جاء بها .. هل جاءت مع أميرة؛ لتساعدها في حمل الملابس التي تحتاجها ؟!**

**لكنني لم أسمع إلا صوت حماتي! يبدو أنها جاءت وحدها! من تحت السرير؛ رأيت باب الغرفة ينفتح؛ ورأيتها وهي تدخل ببطء، لكنها لم تتوجه مباشرة نحو الدولاب؛ لإحضار الملابس المطلوبة! بل توجهت مباشرة نحو صورتي المعلقة، والتي التقطت لي وأنا بكامل هيئتي العسكرية بعد ترقيتي الأخيرة لرتبة رائدٍ! وقفت أمامها تتفرَّس فيها بصورة عجيبة، ولم تهتم أبدا بالنظر إلى صورة زفافي أنا وابنتها! بعد دقائق فوجئت بصوتها وقد تبدَّل بطريقة مخيفة وأصبح أكثر شبها بفحيح الأفاعي! سمعتها تقول بغلٍّ واضح**

- **فرحان بالنسر يا حضرة الضابط! حقك تفرح؛ وتتجبَّر؛ وتطيح فينا؛ وتضرب ابنتي الوحيدة؛ وتهينها؛ وتكسر قلبها! صحيح هي سامحتك لأنها تحبك؛ لكن أنا مستحيل أن أسامحك؛ خصوصا أنك سبب مرضي؛ بسببك أصبحت مريضة بالسكر؛ لكن عن قريب نكون خالصين؛ السم أكيد بدأ يتمكن منك ؛ استعد للكفن يا باشا! ياه، صحيح نسيت أن الكفن لا فيه نسر؛ و لا فيه بدلة! لكن صدقني يوم ما أسمع خبرك – نذر، ولا بد أوفي النذر – أن أوصي الحانوتي يدفن معك النسر والبدلة .**

**14 / 11 / 2020 م**

# السيدة الأولى

عملُ زوجها في مبنى التنظيم والإدارة، أكسبهم مهابة واحتراما بين الجيران، في الحي القديم، بجوار مسجد النفيس؛ وكانت نظرات الحسد تلاحقها هي وزوجها وبناتها الثلاث في كل ذهاب وإياب، ومع أن حياتهم كانت تسير على وتيرة واحدة لا تتغير ولا تتبدل؛ إلا أن الشائعات التي تتناقلها الألسنة كانت تؤكد أن مكاسب زوجها من وراء منصبه الحساس والمهم كبيرة جدا

**تعودت أن تتجنب مخالطة جيرانها، وكذلك فعل زوجها؛ فلم يهتم قط بمصاحبة أي شخص من جيرانه؛ لدرجة أنه لا يعرف اسم أي واحد منهم، سواء كان رجلا أو امرأة أو طفلا! وعلى العكس كان الجميع يعرفون عنهم كل صغيرة وكبيرة؛ من كثرة مشاجراتهما معا ! فقد كانت مشاجراتهما شبه يومية، و استمرت حتى بعد وفاة أمه، ويبدو أن أسبابها أصبحت تنحصر في وجود أخته المعاقة، وإقامتها معهم في الشقة؛ فقد كانت تعتبر وجود هذه الأخت المريضة خطرا على مستقبل بناتها؛ فمن سيرحب بالزواج من فتاة لها عمة مجنونة !**

**أصبحت أكثر شراسة من ذي قبل، فلم تكن مستعدة للانتظار حتى وفاة أخته هي الأخرى؛ لتنفرد بمملكتها الصغيرة، وتشعر فيها بالأمان، رغم أن هذه المملكة لم تكن سوى شقة رغم أنها كبيرة المساحة إلا أنها قديمة جدا !**

**كثيرا ما كانت تحاول أن ترسم لنفسها صورة السيدة المهمة؛ زوجة الرجل المهم، وكذلك كان زوجها يحاول أن يضع نفسه في صورة جميلة، تليق بمنصبه المرموق الذي وصل فيه إلى درجة أنه لا يوجد بناء في دمياط مهما كبر أو صغر يمكن أن يرى النور إلا بعد الحصول على موافقته وتوقيعه شخصيا، ومن دون ذلك التوقيع يصبح هذا البناء في حكم العدم !**

حاولا كثيرا ولكن سرعان ما كانت هذه الصورة المنمقة تهتز، وتصبح مشوشة بسبب مشاجراتهما التي لا تنتهي، وبسبب المشاكل التي تسببها أخته المعاقة، رغم أنها معظم الوقت حبيسة غرفتها !

وكم حاولت أن تقنع زوجها بأن يدخل أخته مصحة نفسية وعقلية؛ لكنه كان يرفض بإصرار، وكانت دائما تخوفه قائلة :

- يا حمدي البنات كبرت، وفي أي لحظة ستفاجأ بعريس يطلب يد واحدة منهن، ماذا سيكون رأيه عندما يرى أختك المجنونة ؟!
- يا سهام، أرجوك لا تقولي عنها مجنونة، هي معاقة ذهنيا، وليست مجنونة !

- مجنونة ومليون مجنونة؛ ألا ترى الفضائح التي تسببها لنا كل يوم، إنها لا تكف عن الصراخ من النافذة، ومعاكسة الرائح والغادي، إذا كنت لا تريد الاعتراف بهذا الأمر فأنت حر، ولكن حرام عليك تضر بناتك، وجود أختك سيبعد الخطاب والعرسان !
- الزواج قسمة ونصيب، وإن شاء الله سيكون نصيب بناتنا خيرا !
- قسمة ونصيب لكن نأخذ بالأسباب يا حمدي، ابنتنا الكبرى سارة أنهت دراستها منذ ثلاث سنوات، ومع ذلك لم يتقدَّم لها أحد حتى الآن، وسلوى وسمية نفس الموضوع، مع إن كل واحدة منهن كسرت العشرين !

**في كل مرة كان يؤكد لها أنه يعرف مصلحة بناته، وحريص عليهن، وفي نفس الوقت كان يصر على أن أخته خط أحمر، وأن خروجها من الشقة مستحيل !**

**تمسكه بوجودها معهم كان يثير جنونها؛ لدرجة أنها فكرت أكثر من مرة في التخلص منها، حتى إنها في صباح أحد الأيام بعد أن ذهب هو إلى عمله، وكانت البنات غارقات في النوم، تسللت إلى حجرة أخته، وتحايلت حتى خرجت بها من الشقة! كانت معظم المحلات في ذلك الوقت مغلقة، ذهبت بها إلى محطة القطار وهناك اشترت تذكرة ذهاب إلى القاهرة ولم تتركها إلا بعد أن تحرك بها القطار ثم عادت إلى الشقة في هدوء ونامت وكأن شيئا لم يحدث!**

**كانت تعرف أن القاهرة كبيرة وأن جميلة ستضيع في الزحام كانت تقول لنفسها وهي راقدة في سريرها :**

- جميلة عبيطة ومجنونة، لسانها معلق، وكلامها غير مفهوم، وليس معها أي شيء يدل على شخصيتها أو عنوانها، أكيد هي لن تعود انتهت المشكلة الأزلية؛ حمدي سيحزن أسبوعا، وربما شهرا، لكنه في النهاية سينساها، وسنعيش حياتنا في هدوء مثل باقي الناس !

عاد زوجها في الثالثة عصرا كعادته، فوجدها هي والبنات غارقين في البكاء! أخبرته أنها عندما استيقظت من النوم اكتشفت اختفاء جميلة؛ وأنها خرجت هي والبنات للبحث عنها في الشوارع ولم يعثرن لها على أثر!

هاج وماج وخرج كالمجنون يبحث عنها؛ وانتصف الليل ولم يعد؛ فأصابها القلق والأرق ثم فوجئت بمكالمة هاتفية من المستشفى التخصصي تخبرها أن زوجها محجوز في العناية المركزة نتيجة إصابته بجلطة ! صرخت، ووقعت على الأرض منهارة، وهي لا تصدق ما قيل لها وارتفع نحيبها، وهي تقول بذهول :

- إلى كل هذه الدرجة تحب أختك ! لو كنت أنا التي اختفيت لما أصابك كل هذا الحزن.. جلطة.. إلى هذه الدرجة !

في المستشفى شعرت ببشاعة جريمتها، وهي ترى زوجها بين الحياة والموت، والخراطيم الصغيرة الدقيقة مغروسة في عنقه، وأجزاء من جسده، وهو غائب عن الوعي! حتى إنها فكرت أن تسافر إلى القاهرة، وتبحث عن جميلة، لتنقذه فقد كان يبدو كمن يعاني من سكرات الموت!

جاءتها مكالمة هاتفية على هاتف زوجها الذي كانت موظفة في قسم العناية قد سلمته لها، مع بعض المتعلقات الأخرى التي تخص زوجها، على الجانب الآخر سمعت صوتا جهوريا صك طبلة أذنها، وهو يبلغها أن جميلة عنده في الحفظ والصون، وأنه سيحضرها معه في الصباح في أول قطار قادم إلى دمياط، اندهشت وتساءلت كيف عرف صاحب الصوت رقم هاتف زوجها! وكيف عرف أن جميلة من دمياط! مستحيل تكون أخبرته؛ إنها لا تستطيع ذلك!

مع شروق شمس اليوم التالي، كانت تجلس على أحد مقاعد المحطة، حرصت ألا تحضر معها أحدا من بناتها، فقد كانت خائفة من أن تفهم البنات إشارات وكلمات جميلة، ويعلمن أن أمهن هي المسئولة عن كل ما حدث .

فوجئت بأن القادم مع جميلة امرأة وليس رجلا كما فهمت من الصوت الجهوري الأجش الذي كلمها ! امرأة خمسينية قوية جلست إلى جوارها بعدما أجلست جميلة؛ التي كانت تبدو في حالة يرثى لها! فاجأتها بصوتها الغليظ الغريب وهي تقول :

- بنتكم كانت واقعة في مصيبة ! كيف تتركونها وحدها؟! حرام عليكم؛ أولاد الحرام في كل مكان مثل الكلاب المسعورة !
- لا، هي ليست بنتنا، هي أخت زوجي الباشمهندس حمدي

- **حمدي! الكلمة الوحيدة على لسانها حدي حدي يا حبيبتي كانت تنادي على أخيها !**
- **هو حضرتك من القاهرة ؟!**
- **لا حضرتي من طنطا !**
- **طنطا! هي نزلت في طنطا ؟!**
- **يا هانم، هي تعرف طنطا من طنط ؟! قلت لك أولاد الحرام في كل مكان، والله العظيم بنتكم كان زمانها في خبر كان.**
- **كلك شهامة، الحمد لله أنك وجدتها قبل أن يصيبها مكروه !**

- مكروه ، يا هانم أنا كنت واقفة أمام الفرش، على رصيف المحطة، سمعت المحروسة تصرخ، وسنجة البلطجي يشدها من شعرها كالذبيحة، ويجرجرها أمامه، ولما تجمَّع الناس لنجدتها؛ ثار كالثور الهائج، وادعى أنها أخته، وأنه يريد أن يعيدها إلى البيت، وطبعا كل الخلق من خوفهم صدقوه !وحتى من لم يصدقه لم يستطع أن يفتح فمه ! لأنه بلطجي وفاجر !
- يا حبيبتي، الله يلعنه أكيد كانت نيته سوء !
- كانت نيته يغتصبها، وكان ممكن بعدها يقتلها، ويرميها؛ لكن والله العظيم ما هانت عليَّ، تركت الفرش، وقمت له، وخلصتها منه !

- **لكن حضرتك قلتِ أنه بلطجي، وأكيد سينتقم منك !**
- **بلطجي على نفسه يا هانم، معذورة لأنك لم تسمعي عني، أنا بفضل الله قدارة والناس كلها تعمل لي ألف حساب، ما يغرك مظهري! سبحان من حنن قلبي على بنتكم !**

**قبل أن تنصرف لتلحق بالقطار الذي سيعود بها إلى طنطا، أخرجت من ملابسها ورقة وسلمتها لها، وهي تقول :**

- **الورقة المكتوب فيها العنوان، ورقم التليفون كانت في القلب الموجود في العقد !**

**تذكرت أن حمدي كان حريصا على ألا يفارق هذا العقد رقبة أخته، كان دائما يصر على أن ترتديه !**

**في المستشفى مجرد أن رأى حمدي أخته؛ تحسنت حالته، وتماثل للشفاء سريعا، وكأن روحه قد عادت إليه من جديد!**

**عاد حمدي إلى البيت، وبدأت سهام تتقبل وجود جميلة على كره منها، بعدما رأته من تعلق زوجها بها، إنها لم تر في حياتها أخا يحب أخته كل هذا الحب ! وبدأت الأيام تمر وهي تحلم بطريقة تتخلص بها من هذه الشوكة المغروسة في حلقها، ولكن دون أن تسبب لزوجها أي ضرر أو أذى، واهتدت إلى أن أنسب طريقة لذلك هي تزويجها !**

**ولكنها عندما عرضت الأمر على حمدي؛ قابلها بالرفض الشديد! حاولت أن تقنعه بكل الطرق؛ فلم تفلح إلا عندما طلبت الطلاق؛ عندها أظهر لها الموافقة، وهو يقول لها بثقة :**

- **لا يوجد في هذا العالم إنسان عاقل سيفكر في الزواج من فتاة في الثانية والثلاثين بينما عمرها العقلي ست سنوات فقط معقول جميلة تتزوج .. .. جميلة إذا احتاجت تشرب تقول ( إمبو ) .. .. حرام عليكِ يا سهام !**

**لم توهن كلماته من عزيمتها، وطافت بكل مكاتب تسهيل الزواج، وأنفقت الكثير من وقتها ومالها، ومرت شهور وهي تسعى ولكن بلا جدوى؛ حتى سمعت بالشيخة سندس إنها عجوز شبه مقيمة في جامع البحر الكبير، البعض يسميها الخاطبة، والبعض الآخر يسميها أم الحنة، ولكن الجميع ينادونها الشيخة سندس ! بلغت شهرتها الآفاق في لم الشمل، وتزويج من يبغي الزواج؛ لدرجة أن من يعرفونها يقولون عنها أنها تزوج العفريتة ! وكان هذا بالضبط ما تبحث عنه سهام .**

**قبل أن ينقضي الأسبوع، فوجئت ببركات الشيخة سندس تحل عليها، أخبرتها في الهاتف أنها وجدت ابن الحلال الذي يناسب جميلة، صحيح هو أصغر منها، فهو في السابعة والعشرين من عمره؛ إلا أنه حاصل على بكالوريوس ؛وكان سيكمل دراسته، ويحصل على الماجستير، والدكتوراه، ولكن القدر لم يمهله؛ صدمته سيارة وكانت نتيجة ذلك أن أصبح معاقا حيث تأثر مخه بدرجة كبيرة، وظهر ذلك في كلامه، وحركاته، وقالت لها إن له شقة في دمياط الجديدة جاهزة ومفروشة بأرقى الأثاث وأن أخته واسمها إيمان هي المسئولة عنه وسوف تحضر معه!**

**في الموعد المحدد فتحت الباب، وأخذت تتحرك في الشقة ذهابا وإيابا، وهي لا تصدق أن جميلة ستتزوج، ولم تهدأ دقات قلبها إلا عندما رأت بعينيها العريس الموعود يصعد درجات السلم بمساعدة أخته؛ استقبلتهما بحرارة وحفاوة شديدة، كما لو أنها تستقبل عريس ابنتها، ثم أدخلتهما حجرة الاستقبال، كان يعرج بساقه اليسرى، وذراعه اليمنى تتدلى بجانب جسده، وظهره محني بشكل ملفت، ويده السليمة ورقبته لا تكفان عن الاهتزاز، فيده ترتعش باستمرار، ورأسه تهتز بطريقة غريبة، ولكنه رغم كل هذا كان وسيم الوجه، طفولي الملامح،أجلسته أخته ثم جلست بجواره، وهي تقول :**

- **أخي أشرف العريس وأنا أخته إيمان أظن الشيخة سندس أخبرتكم بكل شيء !**

- يا أهلا وسهلا يا أستاذ أشرف .. .. يا أهلا وسهلا يا أستاذة إيمان .. .. تمام الشيخة بلغتني كل شيء.

وما أسرع ما دخلت الابنة الصغرى سمية ومعها عمتها جميلة في أبهى زينة ثم انسحبت لتلحق بأختيها المختبئتين وراء الباب تتابعان ما يدور بشغف! الكبرى سارة كانت تتعجب فالعريس رغم ما يبدو عليه من بلاهة وسذاجة إلا أنه كان وسيما جدا؛ لدرجة أنها قالت بتحسُّر :

- حظك نار يا عمتي، عريسك قمر !

أما سمية وسلوى فكانتا غارقتين في نوبة من الضحك مما يدور بين أشرف وجميلة !

**مرت الأيام، وسهام تحاول بكل الطرق إتمام الزواج المرتقب، رغم ما يبديه زوجها من معارضة شديدة ! وفي إحدى الليالي بينما كان أشرف يجلس مع جميلة، وكانت أخته إيمان تجلس مع سهام، أراد أشرف أن يذهب إلى الحمام، فقامت أخته لتساعده حتى وصل باب الحمام، ونسيت أن تنتظره، وعادت لتكمل حديثها مع سهام، وعندما خرج أشرف لم يجد أخته ولم يفطن إلى العينين اللتين كانتا تتابعانه في صمت من وراء الستائر! كان بين الحمام وحجرة الاستقبال ممر طويل، وعلى الحائط بجوار باب الحمام مرآة كبيرة، وقف أمامها يعدل هندامه، وفجأة، فرد عموده الفقري، وحرك ذراعه التي لم يكن يحركها؛ ذهلت سارة وهي تراه يتحرك بكل سلاسة! إنه سليم، ذراعه، ساقه، كل شيء فيه سليم، فلماذا يمثل دور العاجز الأبله ؟!**

**أخبرت أمها بما رأته، ولكنها في البداية لم تصدق، وظنت أنها حيلة من زوجها، لإفشال الزواج، ولكنها عندما تبينت صدق ابنتها قالت لها وهي ترجوها :**

- **الموضوع عجيب، وغريب فعلا يا سارة، لكن أصلا أبوك رافض موضوع زواج عمتك، ولو أخبرناه بما قلته لي الآن ستظل عمتك في الشقة، ولن تتزوج أبدا أرجوكِ يا حبيبتي لا تخبريه !**
- **لكن يا ماما، عريس الغبرة هذا لماذا يمثل دور العاجز العبيط؟! ثم إننا لم نر إلا أخته، أين باقي أهله أليس له أب أو أم وأين زوج أخته لماذا لا يأتي ؟!**
- **يا حبيبتي، المهم نخلص من جميلة، يتزوجها أولا وإذا ظهر إنه لص أو نصاب فهو الخسران !**

- يا ماما، افرضي أنهم عصابة من عصابات تجارة الأعضاء .. .. لا، إنها في الأول والآخر عمتي أخت بابا، سأخبر أبي بكل شيء، لن أسمح بأن تكون عمتي المسكينة ضحية لهؤلاء النصابين !

في الزيارة التالية، بعدما جلس أشرف وأخته كالمعتاد، حرص حمدي أن يكون موجودا، وبعد أن دارت صينية الشاي بقليل، وبدأ مفعول المخدر يسري؛ قام حمدي بربط وتوثيق أشرف وأخته بالحبال التي كان قد أحضرها لهذا الغرض! وعندما أفاقا هددهما بأنه سيبلغ الشرطة إن لم يخبراه بالحقيقة، قالت إيمان وهي تحاول أن تخفي هلعها :

- **من مصلحتك ألا تبلغ الشرطة لأنك وقتها أنت الذي ستدخل السجن وليس أنا أو أخي !**
- **أنا الذي سأدخل السجن! لماذا لأنني ربطتكما بعد أن عرفت أنكما عصابة من النصابين ؟!**
- **لا، ستدخل السجن لأنك موظف مرتشي !**

**هربت الدماء من وجهه، ولكنه حاول أن يتمالك نفسه، أمام زوجته وابنته الكبرى سارة، فقال لها :**

- **كنت أحسبكما عصابة تتاجر في الأعضاء، كما قالت ابنتي لكنني الآن فهمت ماذا تريدان من أختي، ولكن كيف عرفتما بهذا الأمر ؟!**

- زوجي محاسب في نفس البنك الذي فتحت فيه حسابا باسم جميلة من سنين !

- يا مجرمين، يعني الزواج كان خطة لسرقة أموالي !

أصاب الذهول سهام وسارة اللتان كانتا تنظران إليه، وهما لا تصدقان ما يحدث، وفجأة صرخت سهام بحرقة :

- تضع أموالك في حساب أختك المجنونة، وتبخل على زوجتك وبناتك!

- يا مجنونة أنتِ زوجتي، ولو وضعت المال في حسابك ستتم مصادرته، إذا تم اكتشاف أمري .. .. يا سهام، أنا عملت كل هذا من أجلك أنت والبنات، كله من أجل تأمين مستقبلكم !

- وكم يبلغ هذا المال يا حمدي؟

ردت إيمان بخبث :

- تحب أعرَّفها أنا .. .. يُستحسن تفكنا وتتركنا نرحل في سلام، وأحب أعرَّفك أن زوجي يعرف كل شيء، وإذا تأخرنا أكثر فسيبلغ الشرطة، صدقني، ستجد رجال الشرطة أمام باب شقتك إذا تأخرنا أكثر!

بعد أن كشف الجميع أوراقهم؛ خرج أشرف وأخته إيمان، وذهبا دون رجعة، لكنهما تركا شرخا كبيرا لا يمكن علاجه، أو إصلاحه، ولم يكن هذا الشرخ هو ما حدث بين حمدي وسهام بسبب الملايين التي يضعها في حساب جميلة، فقد كان قادرا على إرضاء زوجته بأن يضحي ببضعة ملايين يجعلها تحت تصرفها، لكن الشرخ الكبير الذي لم يفطن إليه أحد،

كان هو الكسر الذي أصاب قلب جميلة، فهي رغم إعاقتها الواضحة، وعدم قدرتها على التعبير عن مشاعرها؛ إلا أن قلبها كان قد تعلَّق بأشرف، وأصبحت تنتظر قدومه بفارغ الصبر، وعندما انقطعت زياراته، وأغلقوا عليها باب حجرتها؛ حتى لا تستطيع الخروج للبحث عنه، أصابها حزن شديد؛ فامتنعت عن الطعام، وقلت حركتها، وساءت حالتها بصورة ملحوظة، وقبل انقضاء الشهر، حلَّقت روحها بسلام؛ وخلت الشقة أخيرا لسهام؛ لتصبح ولأول مرة السيدة الأولى في بيتها، ولكن العجيب أنه بعد وفاة جميلة، انتقلت الأسرة إلى رأس البر؛ وظهرت عليهم آيات الغنى والثراء حتى ظن من يعرفونهم أن جميلة قد أورثتهم تركة ضخمة !

28 / 9 / 2020 م

# الليلة الأخيرة

الليلة الأخيرة له في دمياط، آثر أن يقضيها في الهواء الطلق؛ على كورنيش النيل؛ تعجَّب من الرائحة النتنة التي تفوح من المياه الملوثة بمياه الصرف الصحي! لم تكن الرائحة فقط هي التي تضايقه؛ اللوحات واللافتات المنتشرة للمرشحين لعضوية مجلس الشعب، كانت هي الأخرى تكدِّر صفوه، وتقلِّب عليه المواجع، لا سيما صور ذلك الشخص المكتوب أسفل اسمه ( ابن البلد )! إنه يعرفه؛ ويعرف عنه الكثير؛ فقد عمل عنده في بدايات حياته عندما كان في الرابعة عشرة من عمره، استجمع قوته وهو يبصق في اتجاه إحدى هذه الصور، وقال بغضب شديد، وكأنه يكلم صاحب الصورة :

- يحسبونك موسى، وأنت فرعون يا معلم بيومي .. الله يلعنك

لم يخبر أبويه بأنه سيقضي الليل يتسكع في الشوارع، كانا يعلمان أنه سيسافر إلى القاهرة، متجها إلى حلمية الزيتون لاجتياز اختبارات اللياقة، وكشف الهيئة؛ ليصبح ضابطا احتياطيا في الجيش؛ حاولا بكل الطرق أن يثنياه عن ذلك، وأن يقنعاه بقضاء فترة تجنيده جنديا مثل باقي زملائه؛ حتى لا تطول فترة تجنيده عن سنة واحدة، لكنه كان قد عزم الأمر؛ فحلم حياته منذ نعومة أظفاره أن يصبح ضابطا؛ حاول من قبل الالتحاق بكلية الشرطة

**لكن ظروفه الاجتماعية حالت دون ذلك، لم ييأس وتقدم للكلية الحربية، لكنه فشل لنفس السبب! فرضي بكلية الحقوق، لكن حلمه الوحيد لم يتوقف عن التحليق في رأسه، وها هو على أعتاب تحقيقه، وليس أمامه سوى اجتياز اختبارات اللياقة ليصبح ضابطا احتياطيا .**

**انتصف الليل؛ فجلس في أحد المقاهي يحتسي القهوة، مرَّت من أمامه امرأة ترتدي ملاية لف! سمع أحد الساهرين يقول لرفاقه متعجبا :**

- **يااااه ! ملاية لف، لا .. أكيد هذه المرأة عفريتة أو جنية، الملايات اللف انقرضت من زمان!**

**تصاعدت ضحكاتهم مع دخان سجائرهم ، أما هو فلم يكمل قهوته، ووضع الحساب تحت الفنجان ، وانطلق خلف المرأة، أسرع الخطى حتى يلحق بها، لكنه عندما اقترب منها أدرك صِدق المثل الذي يقول يخلق من الشبه أربعين !**

**في محطة القطار، بعد أن دفع ثمن التذكرة، استلقى فوق أحد المقاعد الطويلة، واتخذ من حقيبته وسادة، كانت أمامه ساعتان حتى يحين موعد قيام القطار الذي سيذهب به إلى القاهرة؛ قرر أن ينال فيهما قسطا من الراحة، ولكن أنَّى له الراحة، المرأة ذات الملاية اللف كسرت القمقم الذي كان يخبئ فيه ماضيه المنصرم، وها هو شريط الأحداث يدور أمام عينيه من جديد، أحداث مؤلمة حاول نسيانها، عادت للظهور أمام عينيه،**

**وطفت على سطح حياته! أخرج صورة صغيرة من محفظته ما كادت عيناه تبصرانها حتى انهمرت منهما الدموع! كان كمن يشاهد فيلما سينمائيا .. ها هو محل البن الذي كان يعمل فيه، والمعلم بيومي يجلس أمام مكتبه، أهل الحارة يعتبرونه كبيرهم وعمدة حارتهم، يقصدونه في كل كبيرة وصغيرة؛ لذلك كان منصور معجبا به، وبقدرته العجيبة في السيطرة على أهل الحارة، وكان يتمنى أن يصبح مثله عندما يكبر؛ ومن شدة إعجابه به كان أحيانا بعد أن ينتهي وقت عمله ، ويحين موعد انصرافه؛ يتسلل إلى السندرة، ويختبئ في الأعلى ليتابعه بإعجاب وانبهار -في كل مساء - وهو يحاور أهل الحارة؛ ويحل مشاكلهم؛ فيصلح بين متخاصمين، ويوفق بين زوجين، وذات مساء صعد كعادته، واختبأ في السندرة، لم يكن في المحل غير المعلم بيومي،**

**كان يراجع حسابات المحل قبل أن يحين موعد سهراته اليومية! فجأة دخلت امرأة بملاية لف، عرفها منصور وهو في مخبأه، إنها سمارة أجمل امرأة في الحارة، لكن جمالها كان قد بدأ في الذبول بعد وفاة زوجها، وترملها، وبدأ الفقر يحفر بأصابعه الحادة في وجهها الكثير من الأخاديد والتجاعيد، إنها تسعى على خمس بنات، ومن المؤكد أنها جاءت لتأخذ الشهرية، فالمعلم بيومي لا يتأخر عن الأرامل واليتامى!**

**رحب بها المعلم أيما ترحيب، وقدَّم لها علبة عصير، لكنه غافلها، وهي تمسح دموعها بمنديلها القماشي، ووضع لها شيئا في العصير، لم تره؛ لكن منصور الذي كان يرصد المشهد جيدا؛ لمحه! ما لبثت أن مالت برأسها على المكتب ،ونامت ! فقام الملعون بكل هدوء، وأغلق باب المحل**

**، ثم حملها إلى السندرة، لم يصدق منصور ما رآه وسمعه، لا سيما عندما أفاقت المسكينة ؛ وطفقت كالمجنونة تبكي في ذهول، والملعون يهددها بأنها إذا حكت شيئا مما حدث، فلن يصدقها أحد، فهي التي جاءت برجليها، وحذرها من الفضيحة، التي لن تطولها وحدها بل ستطول بناتها؛ وتلحق بهن العار! لملمت المسكينة ما تبقى من أدميتها وكرامتها المسفوحة تحت قدميه، وخرجت تجر أذيال الحسرة والندامة، بينما كان يدس في ملابسها مبلغا من المال!**

في تلك الليلة، بينما كان منصور يتسلل للخروج من الباب الخلفي للمحل، فوجئ بالمعلم يجلس بين الناس كعادته كل ليلة، وكأنه لم يفعل شيئا ! كانت هذه آخر ليلة يعمل فيها عنده، فقد أصيب بحمى، وتم حجزه في المستشفى أكثر من أسبوعين، وعندما خرج كان حريصا على تتبع أخبار المسكينة سمارة؛ لكنه لم يتكبد عناء السؤال، فسيرتها كانت على كل لسان، ليس بسبب ما حدث لها في تلك الليلة، فهو لم يخبر أحدا بما حدث حتى أبويه! فوجئ بأهل الحارة ولا حديث لهم إلا سفر سمارة إلى الإسكندرية؛ واشتغالها في أحد الملاهي الليلية! وقع عليه الخبر كالصاعقة، كان الجميع يلعنونها، ويتهمونها بأنها وصمَت الحارة؛ وجلبت لأهلها العار، حتى في البيت، سمع أبويه وهما يتحدثان عنها ذات مساء، بعد عودة أبيه من عمله، سمعه وهو يضرب كفا بكف، ويقول في ذهول واضح :

- **معقول يا أم منصور! الشريفة العفيفة التي عاشت بيننا كل هذه السنين، وكان الجميع يرطبون ألسنتهم بوصف عفتها، وحيائها، فجأة تنقلب وتصبح شيطانة تعرض جسمها على الملأ !**
- **والله العظيم أنا عقلي تعب من التفكير، معقول كل هذه السنين كانت تمثل علينا ؟!**
- **الله يلعن الشيطان الذي غواها، منظر الحارة أصبح زفت وقطران، كل ما أذهب إلى المصنع أسمع كلاما يسمم البدن، زملائي يعايروني، ويسخرون مني، تصدقي إن اسم حارتنا (حارة الأصيل) عندهم أصبح (حارة سمارة )!**

- قصدك حارة الشؤم! قلت لك من قبل ننقل في شقة جديدة ، آه لو كنت تسمع كلامي! سمارة كانت جارتنا، والباب في الباب، وبناتها طول الوقت عندنا، وابنتنا نسرين كانت تذاكر مع ابنتها أحلام، والمثل يقول من جاور السعيد يسعد، ومن جاور الحداد تكويه ناره، وكلام الناس سكاكين.
- تقصدي إن .. .. لا، لا يا أم منصور الناس يعرفونا، ويعرفوا إننا .. إننا ..
- الناس! الناس ينتفوا ريش الخفافيش، وهي الخفافيش لها ريش ؟! جارتنا أم حمادة كانت تكلمني وتتودد لي، وكان نفسها تخطب نسرين لابنها حمادة !

- **صحيح، وقتها قلنا ننتظر لما نسرين تنهي دراستها في الجامعة!**
- **تمام! من أسبوع والهانم على غير العادة لا كلام ولا سلام، وسمعت إنها خطبت لابنها.. خطبت له بنت الشيخ أشرف شيخ الجامع!**
- **يااه! معقول هذا الكلام؟! يبقى الحل إننا ننقل بأسرع وقت قبل ما نار سمارة وسمعتها الهباب تحرقنا .. الله يحرقها !**
- **حرام عليك! ادع لها بالهداية، وادع لبناتها بالستر، ولا نسيت العيش والملح!**

سمع حوارهما وقلبه يعتصر ألما، ودَّ لو يستطيع إخبارهما بما فعله المعلم بيومي بالمسكينة سمارة؛ ربما يلتمسون لها العذر، لكنه خشى على نفسه، وعلى والديه من بطشه!

لم يمض شهر إلا وكانوا قد انتقلوا إلى دمياط الجديدة، ترك الأب عمله القديم، واشتغل في أحد مصانع المنطقة الصناعية، وأصبحت نسرين قريبة من الكلية التي تدرس فيها، أما بالنسبة للصغير منصور، فكان انتقاله من مدرسته القديمة صدمة جديدة؛ جعلته يعود إلى فراش المرض، وتم حجزه في مستشفى الأزهر الجامعي بضعة أشهر،

وشخَّص الأطبَّاء مرضه على أنه حالة نادرة، ولم يكتشف أحد سر مرضه العجيب إلا أمه، التي اكتشفت سره بالصدفة، عندما فتحت محفظته الصغيرة ذات يوم، ورأت صورة تلك الصبية الصغيرة شمس ابنة سمارة! وعرفت وقتها أن ابنها الصغير الذي لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره كان غارقا في الحب حتى أذنيه!

أفاق على يدٍ خشنة كانت تحاول فك ساعة يده! قام مذعورا، لمح شبحا يجري، وفي يده الحقيبة! حقيبته التي كانت تحت رأسه؛ حاول أن يلحق به، لكنه كان قد اختفى بعيدا! فحص جيوبه، فلم يجد فيها غير تذكرة القطار! سرق اللص كل شيء ولم يترك له إلا التذكرة، وكأنه كان يعلم أنها لم تعد ساريةً،

**بعدما فات موعد القطار! تذكر محفظته والصورة بداخلها، فانطلق يجري في نفس الاتجاه الذي اختفى فيه اللص، ظل يجري حتى تقطَّعت أنفاسه، وتعثَّر، وسقط على الأرض، على بعد أمتار قليلة، لمح محفظته، إنها قديمة ممزقة، أمسكها بلهفة، وجد الصورة في مكانها، ارتسمت ابتسامة غريبة على وجهه، وقام من على الأرض، كان كمن عادت إليه روحه، رغم حزنه الشديد لفقده الحقيبة وما فيها، والمال، وكذلك الساعة؛ لكنه لم يكن مستعدا لفقد هذه الصورة التي ظل يحفظها لسنوات!**

**همَّ بالعودة إلى البيت، حتى يطلب من والده مبلغا من المال، لكنه خشى على أبويه من أن يصيبهما حزن أو قلق، فهما يظنان أنه سافر بالفعل! كما أن ما حدث له سيزيدهما عزما على رفض سفره إلى حلمية الزيتون، لم يجد أمامه إلا أن يستقل القطار التالي دون تذكرة، ويختبئ فوق سطح القطار!**

**في حلمية الزيتون اجتاز كل الاختبارات بنجاح، ثم عاد مع بعض دفعته بلدياته من دمياط، ركب معهم، بعد أيام تحقق حلمه، وأصبح ضابطا احتياطيا في الجيش، وفي نفس الوقت فإن دفعته كلها لم تُجنَّد، كلهم أخذوا إعفاء مؤقتا من الخدمة العسكرية! وكانت فرحتهم كبيرة جدا وهم عائدين إلى ذويهم!**

مضى منصور في تحقيق حلمه، وكانت فرحته كبيرة جدا وهو يرتدي الزي العسكري، لا سيما في الإجازات عندما كان يسير مختالا أمام الجيران، والمعارف في سكنهم الجديد، في دمياط الجديدة، وكان شغله الشاغل في كل إجازة، السفر إلى الإسكندرية؛ والبحث عن حب حياته، كان يظن الأمر سهلا، فبمجرد الوصول إلى سمارة؛ سيصل إلى ابنتها شمس، لم يكن يعلم أن سمارة والتي أصبحت من أشهر الراقصات في الساحة الفنية، قد تزوجت بمدير أعمالها السوري؛ وانتقلت معه هي وبناتها إلى الشام؛ قبل اندلاع الحرب الأهلية، وانتشار الفوضى ببضعة أشهر! لم يستطع نسيانها، أمامه بنات العالم أجمع، لكن قلبه لم يكن فيه إلا شمس!

**قبل انتهاء العام الأول له فوجئ بصدور قرار إنهاء خدمته العسكرية! وكان السبب اكتشاف السلطات المختصة أن أحد أقاربه ينتمي لتنظيم معادي للدولة، قبل أن يسلِّم مخلته، وكل المتعلقات العسكرية الخاصة به، في آخر ليلة له في الجيش، كان أحد زملائه يشاهد مقطعا لبعض ضحايا إحدى الغارات في سوريا، كان المشهد مروعا؛ القنابل الضخمة التي أُسقِطت على منزل جعلته ينهار بالكامل على كل من فيه، وكان بينهم أسرة مكونة من أم وخمس فتيات، لم يصدق عينيه وهو يرى وجه سمارة ملطخا بالدماء بين الأنقاض!**

**13 / 11 / 2020 م**

# الفاشل

أخيرا انتهت الإجازة؛ وعدت إلى عملي الذي أعشقه لدرجة الجنون؛ فالإجازة بالنسبة لي سجن مميت، ومع أن المؤسسة التي أعمل بها؛ لا تسمح سوى بإجازة واحدة في العام، ولمدة شهر واحد فقط؛ فقد كنت أنا وزملائي نتمنى إلغاءها؛ بل وخرجنا - أكثر من مرة - في مسيرات؛ وهتفنا بأعلى صوتنا مطالبين بذلك .

وصلتني – كما هو متبع في المؤسسة – رسالة من رئيسي في العمل؛ توضح لي المهمة التي سأقوم بها؛ إنها في غاية السهولة؛ كلمتان فقط أرددهما ست مرات؛ وتنتهي المهمة !

في أحد المقاهي الصغيرة، المنتشرة في أحد الأحياء الشعبية الفقيرة ؛ جلست أنتظر الهدف؛ إنه إمام مسجد؛ شيخ وقارئ الحي؛ يعتبره الناس مثلا يُحتذى به؛ ويضربون به الأمثال في والتقوى الورع !

مرَّ النادل أمامي فطلبت منه كوبا من الشاي الساخن؛ وظللت في مكاني أنتظر، فوجئت بأحد زملائي في المؤسسة يجلس بجانبي؛ سألته :

- ما الذي جاء بك إلى هنا ؟!
- العمل يا زميلي .. .. هل يوجد شيء في هذا العالم يحركنا غير العمل ؟!

- **بصراحة أنت شعلة نشاط .. .. أنا أحسدك من كل قلبي ! في زمن قياسي ترقَّيت إلى درجة رئيس قسم .. .. أما أنا فلا أزال في نفس درجتي الحقيرة .. .. مع أننا دفعة واحدة !**
- **أنا سعيد جدا لسماعي هذه الكلمات .. .. أشعر بفخر كبير !**
- **من حقك .. .. لكن أخبرني .. .. ما الذي جاء بك إلى هذا الحي الحقير ؟!**

- لدي عمل .. .. لكن طبعا ليس في مقلب القمامة هذا .. .. إنني أقوم بمتابعة أعمال بعض موظفينا الذين لديهم مأموريات في القرية السياحية القريبة من هنا

لم أستطع كبح جماح السؤال الذي يمزق لساني مثل حد السكين؛ فسألته :

- كيف وصلت بهذه السرعة إلى ما وصلت إليه ؟!
- باختصار .. .. انزع قلبك من صدرك؛ وضع عليه الكثير من البهارات الحارة؛ ثم كله !
- ياه !!
- لا ترحم أحدا مهما كان .. .. الجميع يستحقون الحرق !

في نفس اللحظة رأيت الشيخ يدخل من باب المقهى؛ ما لبث أن ألقى السلام؛ وتصادف مرور النادل وهو يحمل شيشة؛ وينفخ في نارها؛ فتناثرت الجمرات منها؛ ووقعت على قميص زميلي فاشتعلت فيه النار، وطفق يقفز وجلده يحترق لدرجة أنني شممت رائحة جلده المشوي! قبل أن يختفي من أمامي؛ سمعته يصرخ قائلا :

- ألم أقل لك .. .. كلهم يستحقون الحرق !

كنت كالمذهول لا أدري ماذا أفعل؛ وكانت بعض الجمرات قد وصلت إلى كم قميصي فأحرقته؛ لكن سرعان ما انطفأت بمجرد جلوس الشيخ في نفس مكان زميلي المحروق!

جلس الشيخ؛ وطلب زنجبيلا! ضحكت ساخرا؛ لكنه ولحسن حظي لم يلحظ شيئا؛ يبدو أنه كان مشغولا؛ فقد كان يتحدث مع نفسه؛ وسمعته يقول متعجبا :

- **ماذا جرى .. .. عين حاسد أصابتنا .. .. سحر معمول لنا .. .. رأسي ستنفجر .. .. بعد كل هذا العمر؛ وبعد ما كبر أولادنا وتزوجوا .. .. أمد يدي عليها وأضربها .. .. أستغفر الله العظيم .. .. سامحني يا رب .. .. ماذا سيقول الناس عني ؟! الشيخ حلال المشاكل أصاب زوجته أم عياله وورم لها عينها .. .. الحمد لله إن العين سليمة .. .. الله يلعن الشيطان .. .. أكيد فيه شيطان يوسوس لها لدرجة أنه جعلها تستفزني بهذه الطريقة !**

**لاحظت أن يديه كانتا ترتعشان؛ لكنه بعد أن تناول بضع رشفات من الزنجبيل بدأ يهدأ! انتبهت إلى أن النادل لم يحضر لي الشاي الساخن؛ من غضبي علَّقت له ذيلا كذيل الحمار جعل كل من في المقهى يضحك؛ حتى كادوا جميعا يسقطون على الأرض من فرط الضحك!**

**تذكرت المهمة؛ اقتربت من أذن الشيخ؛ وبدأت أردد على سمعه الكلمتين :**

- **إنها تخونك .. .. إنها تخونك .. .. إنها تخونك .. ..**

**كررتهما ست مرات؛ لكن العجيب أن الشيخ في كل مرة؛ كان يبصق ناحيتي ويقول بصوت مسموع :**

- **أستغفر الله العظيم .. .. أستغفر الله العظيم !**

بدأت أشعر بالخطر؛ ربما أخطأت لأنني تركته حتى يهدأ؛ كان من الضروري أن أردد الكلمات وهو في ذروة غضبه؛ يبدو أنني فشلت في مهمتي؛ فالشيخ أصبح أكثر هدوء من ذي قبل !

قمت من مقامي؛ وأنا أمسح آثار البصاق من على وجهي؛ ولكني قبل أن أغادر؛ لمحت رئيسي في العمل قادما نحوي؛ ووجهه يتميز من الغضب؛ والدخان يتصاعد من فروة رأسه؛ صرخ في وجهي غاضبا :

- أيها الفاشل .. .. الله يحرق بيتك كما حرقت بيتي .. ..
- اعذرني سيدي الرئيس .. .. أعرف أنني أخطأت لأنني انتظرته حتى هدأ !
- أيها الأحمق .. .. لماذا لم تقرأ الرسالة جيدا.. .. لم يعد لك مكان بيننا أنت مطرود من المؤسسة !

**ثم اختفى قبل أن يسمع مني أي كلمة؛ فتحت الرسالة؛ وبدأت أقرأها من جديد؛ فوجئت بأنها تقول :**

- **اذهب إلى زوجة الشيخ وردد على سمعها هاتين الكلمتين ست مرات ( إنه يخونك ) !**

**16 / 8 / 2020 م**

# المغفل

في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، خرجت من مسجد ( أبو بكر الصديق )، بعد أن قضينا صلاة التراويح؛ وتوجهت تلقاء المعرض؛ وأنا أقلب وجهي في السماء بعينين دامعتين؛ فحياتي كلها أصبحت على شفا جرف هار يوشك أن ينهار بي؛ ليتني سمعت كلام أبي؛ وتركت التجارة منذ زمن قبل أن تتراكم عليَّ الديون والهموم؛ حتى أصبحت محني الظهر كالشيخ الطاعن في السن !

رحمة الله عليك يا أبي! لا تزال كلماتك يتردد صداها في أذني؛ وأنت تعبِّر لي عن غضبك النابع من خوفك عليَّ؛ كنت دائما تقول لي :

- أنت فاشل يا بني .. .. التاجر الناجح لا يأخذ قلبه معه إلى السوق !

كنتَ دائما على حق، وكنتُ أعاند وأكابر؛ وهذه هي النتيجة؛ وصلت إلى حافة الإفلاس !

تجارة الأثاث مربحة جدا؛ وأكثر تجار الأثاث أصبحوا مليونيرات؛ واشتروا الكثير من الأراضي والعقارات؛ بل إن بعضهم دخل في تجارة السيارات! أما أنا فلم أتغير؛ لا أزال أسكن في شقة إيجار قديم؛ وأركب سيارة فيات موديل قديم؛

والمعرض والمخزن كلاهما إيجار! والأعجب من ذلك أنني أعرف السبب؛ ولكنني كما قلت من قبل كنت أكابر! وظللت أكابر حتى جاءت هذه الليلة التي أقسمت فيها أن أطلق التجارة طلاقا بائنا لا رجعة فيه!

في هذه الليلة فتحت المعرض؛ ثم جلست أمام شاشة التلفاز أقلب القنوات؛ أردت أن أشغل قناة تبث القرآن الكريم لتحل البركة؛ وأفلت من الهم، لكن يبدو أن الريموت كان له رأي آخر؛ وأنا أقلب القنوات التي كانت تنضح بالفوازير؛ وبرامج الكاميرا الخفية؛ والترفيه والتسلية؛ فوجئت بنفسي أتوقف عند قناة تذيع أفلاما قديمة؛ وكان الفيلم الذي يُعرض ساعتها هو فيلم ( الأرض)؛ وجدتني أتابع أحداثه بشغف؛ وكأنني لم أشاهده من قبل!

**لفت انتباهي الزي الموحد الذي يرتديه معظم الممثلين؛ مجرد جلباب؛ ومعظم الوجوه تبدو عليها التجاعيد والنتوءات واضحة؛ واللهجة الفلاحي المميزة! فجأة وجدت أحدهم يقف أمامي !**

**كان رجلا من لحم ودم! يرتدي نفس الجلباب؛ وفي جبهته نفس التجاعيد؛ حتى صوته وهو يُلقى السلام يحمل نفس اللهجة الفلاحي! ومن ذهولي نسيت أن أرد عليه التحية! وبينما كنت أحاول أن ألملم حبال أفكاري التي التفت حول بعضها فيما يشبه العقدة؛ سمعته يقول لي :**

- **محسوبك ابراهيم عبد البر؛ من ( بلقاس ) بيسموني الشيخ ابراهيم؛ ( بلقاس ) كلها تعرفني .**

- **يا أهلا وسهلا يا شيخ حسونة !**
- **لا يا ابا .. .. اسمي الشيخ ابراهيم**
- **لا مؤاخذة يا شيخ ابراهيم .. .. اللي ما يعرفك يجهلك .. .. اتفضل تؤمر بإيه ؟!**
- **الأمر لله يا ابا .. ..**

**واقترب بفمه من أذني حتى ظننته سيعضها؛ وهمس قائلا :**

- أنا سمسار.. .. والولية الغلبانة اللي قاعدة على الرصيف هناك .. .. دي أرملة بتسعى على يتامى؛ وعندها بنت بتشورها ؛ ودخلتها ع العيد بإذن المولى؛ وقصدتني أنزل معاها دمياط أشتري لها صالون مذهب .. .. ما هو أصل عندنا الصالون من ضمن شوار العروسة .. .. وبصراحة احنا لفينا السوق كله لما كعوب رجلينا دابت .. .. والحمد لله إن ولاد الحلال دلونا عليك .

- يا أهلا وسهلا .. .. دمياط نورت بيكم .. .. والمعرض كله تحت أمركم !

- هو بصراحة الصالون الفرنساوي اللي ف وش المعرض ده عاجبها قوي.. .. نفسها يكون من نصيبها لجل تفرَّح بيه بنتها اليتيمة واخواتها اليتامى اللي في رقبتها.. .. يعمل له كام يعني الصالون ده ؟
- كل المعارض بتبيعه بعشرين .. ..
- عشرين مية .. .. يعني ألفين جنيه ؟
- لا .. .. لا؛ عشرين ألف جنيه !
- يااااه .. .. يا سنة سوخة يا ولاد .. .. ده كتير قوي يا ابا الحاج .. .. بقولك أرملة وبتجري على يتامى.. .. وبتشور بنتها اليتيمة .. ..

- **عشان الظروف ممكن نخصم ألفين .. .. إيه رأيك ؟**
- **يا دين النبي .. .. ألفين بس !**
- **يا شيخ حسونة اسأل في أي معرض .. .. الصالون ده ماركة مسجلة؛ صالون خشب زان؛ أويما درجة أولى؛ دهب أصلي!**
- **يا ابا قلت لك ابراهيم .. .. شيخ ابراهيم؛ وبعدين يا محترم احنا ف شهر كريم .. .. وانت أبو الكرم .. .. اكسب فيها وف بنتها اليتيمة ثواب .. .. ما تكسرش بخاطرهم!**
- **أعمل إيه .. .. تختار بقى صالون أرخص .. .. فيه عندي صالون يعمل سبعة .. ..**

- **لا يا ابا هي اختارت الصالون ده .. .. حرام عليك تكسر بخاطرها وخاطر بنتها اليتيمة ! اجبر بخاطرهم عشان ربنا يجبر بخاطرك .. .. مشيه بعشرة !**
- **يا عم انت بتقول إيه .. .. حرام عليك انت جي تخسرني ؟**
- **حد الله ! حد الله يا ابا .. .. ربنا ما يحكم بخسارة**
- **انت عارف أصل تمنه كام .. .. ما اقدرش يا شيخ**
- **طيب إيه رأيك نكسب فيها ثواب .. .. أنا والله مسامح في عمولتي مش بس كده لأ .. .. أنا مستعد أدفع من ناحيتي ألفين تلاتة.. .. وانت يا ابا تسامح في ألفين تلاتة وبكده .. .. دي الليلة باين عليها ليلة القدر .**

- ليلة القدر! يا عم احنا لسه في نص الشهر الفضيل .. .. لسه بدري على ليلة القدر!
- اسمعني بس الله يخليك .. .. اعتبر المبلغ اللي ها تسامح فيه زكاة .. .. حلفتك بكل عزيز وغالي عليك ما تكسر بخاطر الغلبانة دي.. .. دي تستحق كل صدقة منك ! والله العظيم انت لو عرفت الفلوس اللي ها تدفعها تمن للصالون ده جايباهم منين مش هاتاخد منها جنيه واحد .. .. دي ما عرفتش يا عيني تجمع من قلوب الخير غير سبعة بس .. ..

- سبع تلاف جنيه !!
- اصطبر بس يا حاج الله يبارك لك .. .. أنا معايا تلاتة كنت ناوي أشتري بيهم نيش لبيتي بس عشان خاطر الولية الأرملة المسكينة دي؛ وبنتها اليتيمة هادفعهم يبقى المبلغ كله عشرة .. .. ده احنا ف شهر مبارك وأيام فضيلة .. .. والله ما تكسفني !

وجذب رأسي يريد تقبيلها؛ في نفس اللحظة التي دخلت فيها المرأة؛ وانحنت تريد أن تقبل يدي؛ وأنا واقف من ذهولي كالتمثال لا أدري ماذا أفعل !

**وفي خضم هذه الأحداث؛ انكشف غطاء الرأس عن الجانب الأيمن وراء شحمة أذنها؛ فلمحت عليه آثار حرق قديم تبدو واضحة! لا أعرف كيف يكون حال السكران؛ فلم أذق خمرا من قبل؛ لكنني في هذه الليلة كنت أسوأ حالا من السكارى؛ حملوا الصالون أمام عيني؛ ودفع لي الشيخ إبراهيم عشرة آلاف فقط!**

**هذا الصالون الذي بعته بعشرة آلاف؛ كنت قد دفعت ثمنا له خمسة عشر ألفا؛ أي أنني خسرت خمسة آلاف دفعة واحدة؛ في ليلة واحدة ! أحسست بالدموع تنساب من عيني؛ وأنا أشاهد الانجليز وهم يسحلون ( محمود المليجي ) بينما كانت أصابعه تحاول أن تتمسك بالأرض! لكن كان عزائي أنني ساعدت هذه المسكينة وابنتها اليتيمة!**

**أحد أصدقائي من التجار عندما سمع مني حكاية أم اليتامى؛ فوجئت به - ليلة سفره إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك العمرة - يعطيني مبلغا كبيرا من المال؛ ويطلب مني أن أوصله إليها؛ استحييت أن أرفض رغم ضيق الوقت؛ ومرت الأيام والليالي؛ وانقضى رمضان؛ وانقضى أسبوع العيد؛ وقررت أن أذهب لأداء الأمانة؛ فقد أوشك صديقي على أن يعود من رحلته!**

في بلقاس لم أتكبد عناء في الوصول إلى منزل الشيخ إبراهيم؛ فالجميع هناك يعرفونه؛ إنه صاحب أراض وأطيان؛ ويتاجر في كل شيء ! وصلت إلى داره التي تشبه قصور الأغنياء في الأفلام الأبيض والأسود! رأيت شابا يفترش الأرض؛ وشخيره لا ينقطع! لمحت صبية فارعة الطول تخرج من الباب؛ تحمل على رأسها لفة كبيرة كالتي كانت تحملها نجوى إبراهيم في الفيلم؛ سألتها:

- مش دي دار الشيخ ابراهيم ؟
- أبويا مش موجود .. .. هو في مشوار !
- طيب ممكن تشوفي لي حد أكلمه !

- الدار مفيش فيها غير العفاريت .. .. أمي واخواتي في الغيط .. .. وانا رايحة لهم بالأكل، ما أقدرش أتأخر؛ وإلا أمي تقتلني من الضرب!

وتركتني وذهبت؛ لكن يبدو أن الشاب النائم كان قد استيقظ؛ أخذ يبحلق في وجهي؛ ويسألني

- انت مين يا عم .. .. وعاوز ايه ؟!

كان يبدو نسخة مصغرة من الشيخ إبراهيم! ربما هو أحد أولاده؛ قلت له :

- أنا رسول من دمياط .. .. معايا أمانة؛ وعاوز الشيخ ابراهيم .. ..

لم يتركني أكمل كلامي؛ واندفع نحوي؛ واحتضنني وكأني قريب له عاد من بعد غيبة طويلة! وهو يقول لي مرحبا :

- يا أهلا وسهلا .. .. بتقول معاك أمانة .. .. اتفضل يا ابا الحاج .. .. اتفضل يا مرحبا بك .. .. يا ميت ألف مرحبا !

وجذبني من يدي؛ وأدخلني الدار؛ إنها فعلا قصر! أدخلني حجرة كبيرة ، وفجأة فقدت توازني؛ وكدت أقع على الأرض؛ عندما رأيت الصالون الفرنسي المذهب! إنه هو نفس الصالون الذي خسرت فيه خمسة آلاف جنيه! مددت يدي أملس عليه؛ وكأنه ابني؛ فلذة كبدي، قال لي :

- **صالون فرنساوي معتبر.. .. من عندكم من دمياط .. .. أبويا وامي لفوا معارض دمياط كلها حتة حتة ؛ وبعد ما اتأكدوا ان سعره عشرين ألف جنيه اشتروه بعشرة ها ها .. .. أصل أبويا ناصح .. .. تعرف يا محترم .. .. تلاتة بس في بلدنا يتقالهم يا حضرة .. .. حضرة العمدة، وانت عارف ان العمدية اتلغت من زمان؛ وحضرة الصول؛ وابويا .. .. الناس كلها بتناديه يا حضرة الشيخ ابراهيم .. .. اتفضل يا عمنا .. اتفضل تشرب ايه ؟**

**- شااااااااااااااااااااااااااي .. .. شااااااااااااااااااااااي !**

**شعرت أن رأسي تدور؛ وانتابني إحساس رهيب بالخوف على الأمانة التي معي! وبمجرد أن ذهب لإعداد الشاي؛ خرجت؛ وأطلقت ساقيّ للريح؛ ظللت أجري بين الأراضي الزراعية حتى تقطعت أنفاسي؛ ووقعت في الطين أكثر من مرة!**

**في الميكروباص حسبني الركاب مجنونا؛ فقد كنت أضحك وأبكي في نفس الوقت؛ حتى إن السائق توقف عدة مرات؛ وهمّ بمساعدة الركاب أن ينزلوني من الميكروباص كنت فعلا أبدو كالمجنون بثيابي الملطخة بالطين؛ وضحكاتي المتقطعة؛ ودموعي التي لا تتوقف !**

**12 / 8 / 2020 م**

# النجم الجديد

يقولون أن المصائب لا تأتي فرادى! فإذا وقعت إحداها انفتح الباب على مصراعيه! وهذا ما وقع له بالضبط؛ فبمجرد أن أعلن ترشُّحه لعضوية مجلس الشعب زلزلت الأرض من تحت قدميه؛ وانفجر في وجهه بركان هائل من المشاكل التي لم يكن لها وجود من قبل في حياته! وكانت أكبر الحمم التي أحرقت حياته ؛ وأثرت فيه بشكلٍ كبير تلك الفضيحة التي لا يعرف حتى هذه اللحظة كيف وقعت ؟

صحيح أن " تُقى " سكرتيرة مكتبه فتاة بارعة الحسن والجمال، لكنه لم يتحرش بها، إنها تعمل عنده منذ سنوات، وكان يعاملها بكل أدب واحترام، ولم ينظر إليها يوما نظرة ذئب، فما الذي دفعها لفعل ما فعلته ؟!

لقد دخلت مكتبه – في ذلك اليوم الأغبر – ووضعت أمامه بعض الأوراق؛ ليطلع عليها ويضع توقيعه على بعضها؛ كما تفعل كل يوم؛ ثم فجأة ودون سابق إنذار جرت نحو الباب؛ ومزقت ثوبها ! وطفقت تصرخ صراخا هستيريا ؛ وعندما قام ليساعدها؛ ويفهم ما يحدث؛ تشبثت بقميصه ومزقته هو الآخر؛ ثم وقعت على الأرض؛ وهي تجذبه نحوها؛ ففقد توازنه؛ وقع فوقها! في نفس اللحظة انفتح باب المكتب؛ ودلف منه الموظفون؛ وأخرج أحدهم هاتفه المحمول وصور المشهد - بكل برود - وكأنه كان متهيئا لذلك!

سرت أنباء الفضيحة كالنار في الهشيم؛ رغم أنه كان مجرد شخص مغمور، وليس نجما أو ممثلا أو شخصا مشهورا؛ وأصبح حديث المدينة؛ لا سيما بعد أن تقدَّمت السكرتيرة ببلاغ رسمي تتهم فيه مديرها بالتحرش بها ! وقدم الموظف الذي صور المشهد ما لديه من صور كدليل إدانة ! وبين عشيةٍ وضحاها أصبح " ناصر الغفير " - الذي كان قد كتب على لافتاته الانتخابية رجل البر والتقوى المحترم النزيه - ذئبا ذا أنياب؛ وزير نساء!

تجاوزت الساعة منتصف الليل، انصرف الجميع منذ بضع ساعات؛ وظل هو في المكتب رغم الإرهاق والتعب الشديد! ألجأ ظهره إلى الأرض؛ نومته القديمة التي كان ينامها؛ ورفع ساقيه مستندا بكعبيه على أحد المقاعد، شرع يفك أزرار قميصه بعصبية فانكسر أحد الأزرار!

**كان كمن يغرق؛ يكاد يختنق؛ ولا يرى أمامه أي فرصة للنجاة!**
**أخذ يحدث نفسه بصوت مسموع :**

- **يظهر يا " ناصر " الفقر الذي كنت تظن أنك هربت منه، ونسيته؛ لا يريد أن ينساك .. .. سُمعتك أصبحت في الحضيض؛ شركتك على وشك الإفلاس؛ بيتك على حافة الخراب.. .. هل ستعود إلى حارة " نسناس " من جديد ! وعشة الصفيح فوق سطوح بيت البخيل ابن البخيل " صبحي ليل "؛ أم أن نهايتك ستكون على خيش و برش التخشيبة في ليمان طرة ؟!**

**رن هاتف المكتب؛ رفع السماعة؛ سمع صوت الحارس على الجانب الآخر يخبره أن امرأة تريد مقابلته ؛ رد عليه باستياء :**

- **امرأة في هذه الساعة المتأخرة من الليل! أخبرها أن الشركة أغلقت أبوابها؛ ولتأت في الصباح**

**فوجئ بصوت أنثوي يداعب طبلة أذنه :**

- **لن آخذ من وقتك الكثير؛ لديَّ أخبار مهمة ستحل لك كل مشاكلك؛ قابلني ولن تندم !**

**نهض من على الأرض؛ وهو يحاول إدخال أزرار القميص في ثقوبها؛ و يقول لنفسه :**

- **أخبار مهمة ستحل مشاكلي !!**

**ثم رفع صوته وهو يعدل السماعة في يده :**

- حسنا .. .. حسنا يمكنك الصعود؛ أنا في انتظارك !

عندما فُتح الباب؛ فوجئ بصاروخ روسي بعيد المدى؛ فاتنة لم يرى امرأة في جمالها من قبل ! قال في نفسه :

- هل أنا على أعتاب فضيحة أخرى ؟!

مدَّت يدها تريد مصافحته؛ لكنه ظل في مكانه؛ ضحكت بتدلل، وهي تقول :

- أقدِّر موقفك .. .. لكنني واثقة أنك لست كما يقولون عنك

- أرجو منك أن تدخلي في الموضوع؛ ماذا لديكِ ؟!

- ألن تسمح لي بالجلوس أولا ؟!

-

**أشار لها، فجلست ووضعت إحدى ساقيها على الأخرى؛ وأخرجت علبة سجائرها؛ وقدّاحتها؛ وأشعلت سيجارة؛ وأخذت تنفث دخانها وهي تقول :**

- **سأدخل في الموضوع مباشرة، فمن الواضح أنك وصلت إلى حالة أسوأ من التي أراد أعداؤك أن يصلوا بك إليها !**
- **أعدائي ؟!!**
- **ها ها .. .. وهل كنت تظن أن كل ما يحدث لك مجرد مصادفة .. .. يا سيد " ناصر " يوجد أشخاص على استعداد لدفع كل ما يملكون من أجل تدميرك !**

- لكن أنا ليس لدي أعداء ! إنني أعامل الجميع بكل احترام؛ ولم أعادي أحدا؛ ولم أسبب ضررا أو أذى لأي شخص !
- أعداء النجاح ما أكثرهم سيد " ناصر " !
- لكنني الآن رجل فاشل؛ شركتي؛ بيتي ؛ سمعتي ؛ كل شيء ينهار أمام عينيّ؛ وأنا عاجز لا أستطيع فعل شيء ! أشعر أنني أسقط من فوق قمة جبل مرتفع؛ وما هي إلا لحظات ويقع الاصطدام !
- يمكنك العودة إلى القمة .. .. كل ما تحتاج إليه جناحان تطير بهما .

- **ها ها .. .. لم أضحك منذ أيام ؛ تقولين أطير .. .. إنني أغرق يا سيدتي !**
- **صدقني يا سيد " ناصر " تستطيع أن تمسح كل ما حدث؛ وتعود إلى أفضل مما كنت؛ بل وستنجح في الانتخابات؛ وتصبح عضوا في البرلمان المصري؛ بل ويمكنك أن تصبح – بعد ذلك – وزيرا في الحكومة ، لديك امتيازات كثيرة تؤهلك لذلك .**
- **مؤكد مع حضرتك خاتم سليمان !**

- صحيح .. .. معي خاتم سليمان؛ وعصا موسى؛ وأكثر من ذلك؛ كل ما عليك هو أن توافق على الصفقة التي سنعقدها معك !

اعتراه الذهول؛ إنها لا تبدو له مجنونة؛ كما أنها تتحدث بثقة كبيرة؛ إنه رجل أعمال، وابن سوق؛ ويستطيع التمييز بين من يتكلم في الفاضي، ومن يتكلم في المليان؛ قال لها متسائلا :

- أي صفقة ؟!

ارتسمت على وجهها ابتسامة كبيرة؛ ابتسامة النصر والفوز، لكنها لم تجب على سؤاله؛ بل قالت له :

- الوقت متأخر جدا لمناقشة تفاصيل الصفقة؛ يمكننا هذا في لقاء آخر إذا وافقت طبعا.

**ثم قامت من مكانها؛ وتوجَّهت نحو الباب؛ وثب من على كرسيه كالفهد؛ ومد إليها كلتا يديه يريد مصافحتها، وهو يقول لها متوددا :**

- **لكنني لم أعرف حتى الآن من أنتِ .. .. و لا كيف سأقابلك !**
- **أنا " طوق نجاتك " .. .. أما عن المقابلة القادمة فلا تقلق .. .. سنتقابل؛ وسنتناقش في تفاصيل الصفقة؛ إنها صفقة العمر بالنسبة لك، ولنا !!**

**مدت يدها فصافحها بكلتا يديه؛ ثم انصرفت كما جاءت !**

بين عشية وضحاها؛ خمد بركان المصائب الذي كاد يحرق حياته؛ ويدفنه تحت حممه ، واستقرت الأرض تحت قدميه؛ فسكرتيرته أقرَّت ببراءته، وعللت ما فعلته بأنها كانت تريد أن ترغمه على الزواج بها! لم يقتنع بالسبب الذي ذكرته؛ فهي فتاة بارعة الحسن؛ وأي شخص يتمنى أن يقترن بها؛ و لو كان رأى منها أو شعر بأي ميل منها نحوه؛ لأقدم على خطبتها دون تردد؛ رغم أنه متزوج، ولديه أربع بنات !

لكنه على كل حال نجا بشرفه من براثن فضيحة مدوِّية؛ وقد رفعت هذه البراءة من قيمة أسهمه لدى الناخبين؛ فنجح بفارق كبير عن أقرب منافسيه؛ وأصبح عضواً في البرلمان؛ واستقرت أحوال شركته وارتفعت أسهمها؛ وزادت مكاسبه بسرعة لم يتوقعها ! وتحولت شركته الصغيرة إلى واحدة من أكبر شركات الاتصالات في البلد !

**اشتهر لدرجة أن صوره أصبحت تتصدَّر صفحات الجرائد؛ كما أصبح ظهوره - في أهم البرامج التليفزيونية وأكثرها مشاهدة – أمراً معتاداً !**

**كان يشعر أن هناك قوة خفية تدفعه نحو القمة؛ لدرجة أنه بدأ يزاحم رجال السياسة المخضرمين الذين كان يرى صورهم؛ ويسمع أخبارهم، ولم يحلم يوما بمقابلة أحدهم، أو حتى مصافحته؛ وبعد أن أنهى البرلمان دورته؛ تم اختيار الرجل ليكون وزيرا للاتصالات !**

**كان اليوم الأول له في مبنى الوزارة؛ والذي ازدحم بباقات الورود والزهور؛ وعبارات التهنئة؛ والترحيب؛ وتمنيات كثيرة له بالتوفيق في منصبه الجديد، وجذب انتباهه سماعه أحد المهنئين يقول له :**

- **والله العظيم معاليك أنسب شخص لهذا المنصب؛ فأنت جدير به ؛ أنت مفجِّر ثورة الاتصالات في هذا البلد!**

**ذكَّره هذا الكلام بما أخبرته به الفاتنة التي قابلها مرتين فقط على مدار خمسة أعوام؛ لقد قالت له في اللقاء الأخير؛ بعدما وقع موافقا على بنود الصفقة العجيبة:**

- **ستصبح شركتك أعظم شركة اتصالات في هذا البلد؛ وستصبح وزيرا للاتصالات .**

وقتها ظن أن هذا الكلام مجرد ديباجة لتمرير الصفقة، لكنه الآن بات يدرك جيدا أن كل ما قالته له لم يكن مجرد كلام !

فعلى مدار خمسة أعوام حصلت شركته على عقود كبيرة لم يكن يحلم بها؛ وبأسعار زهيدة؛ بمفرده لم يكن يستطيع إنجازها؛ بدأ يتساءل في قلق :

- من هؤلاء .. .. وماذا يريدون ؟! ( لا تزال كلمات المرأة تتردد في أذنيه : )
- ستصل إلى أكثر مما تحلم به، بمساعدتنا طبعا؛ وفي المقابل لا نريد منك إلا أمرا واحدا؛ خصخصة شركة الاتصالات العامة؛ والموافقة على بيع جميع أسهمها وقتها سألها بكل سذاجة :

- **تتحدثين وكأنني فعلا سأصبح وزيرا مع أنني لم أحلم يوما أن أصبح مديرا لهيئة الاتصالات في هذه المدينة، ثم إنني .. .. بصراحة معي شهادة دبلوم ، وليست شهادة جامعية كما يظن الكثير !**
- **ليس لدينا وقت للأحلام؛ نحن نضع أهدافا؛ ثم نحققها ، وعليك أن تتعلم منا !**
- **ومن أنتم ؟!**
- **مؤسسة اتصالات ضخمة؛ لنا في كل بلد رجال نساعدهم حتى يصلوا إلى أعلى المراكز؛ ويصبحوا من أصحاب النفوذ والجاه والسلطان؛ وبذلك يتمكنون من رعاية مصالحنا .**

- **إذا أنتم تريدون خصخصة الشركة العامة للاتصالات لتشتروا أسهمها .. .. ولكن لماذا ؟!**
- **لدينا أسبابنا .. .. وأسبابنا هي سر المهنة كما تقولون !**

**1 / 8 / 2020 م**

# أحلام تحت الركام

مثل الجميع كانت لي أحلام كثيرة ، كنت أحلم أن أتزوج ، ويكون لي بيت سعيد وأولاد وبنات ، ولكن كما يقولون ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ؛ فكل هذه التطلعات المباحة والمتاحة للجميع ؛ كانت بالنسبة لي أحلاما تحت الركام , وكنت أعرف أنها ستظل تحت الركام إلى الأبد

لقد رضيت بنصيبي ، ولكن من حولي غير راضين ؛ حتى أمي التي سمعت بأذنيها الطبيب الذي كشف علي منذ سبع سنين ؛ وهو يؤكد أنني مصابة بعيب خلقي في الرحم وأن الإنجاب في المستقبل مستحيل ! كل ما قالته هي وأبي وقتها أن هذه المسألة بيد الله سبحانه وتعالي ، وليست بيد مخلوق ! أبي وأمي يؤمنان بالمعجزات ؛ أما أنا فمن يومها أصبح وجودي على قيد الحياة معجزة!

ما فائدة أن أتزوج وأفرح شهرا أو سنة ثم بعد ذلك أحصل على تعاسة وحسرة وألم لايفارقني طول العمر لا توجد في هذا العالم كلمة أكرهها أكثر من كلمة (عاقر )

**و لقب يسبب لي الرعب أكثر من كلمة ( مطلقة ) ؛ اللعنة على الرجال ؛ لن أضع نفسي تحت رحمة أحدهم ؛ هذا قراري ولكن ماذا أفعل وجيراني وأقاربي وأهلي لم يعد لهم شغل إلا موضوع رفضي للعرسان ، وما أكثرهم هذه الأيام**

**كانوا يظنونني مغرورة وما أكثر ما سمعت ورأيت من غمز و لمز !**

**كان من السهل علي أن أصبر و أتحمل ؛ ولكن ليت الأمر توقف عند هذا الحد ؛ لقد بدأ أصحاب النفوس المريضة في ترويج الشائعات ؛ إنها تجارة رائجة أكثر من تجارة المخدرات ؛ الويل لهم لقد مرضت أمي بسببهم ؛ كادوا يقتلونها بألسنتهم ! إن السموم التي ينشرونها تكفي لقتل فيل يزن ثلاثة أطنان ، ولكن أمي معروفة بصبرها وقوة إيمانها.**

**من أجلها فقط قررت أن أخوض التجربة المريرة ؛ سأضحي من أجل أمي ؛ لكنني في نفس الوقت سأتخذ احتياطاتي ؛ لن أدخل القفص إلا ومعي مفتاحه!**

**علي أن أختار الشريك المناسب ؛ ربما لو أحسنت الاختيار أجنب نفسي وأهلي الوقوع فى كارثة ؛ ظل شبحها يهددني لسنوات!**

**يا إلهي كل الذين يتقدمون لي لا يعيبهم شيء ! سبحان الله ! لو كان الحال غير الحال ما خلا أحدهم من العيوب ؛ إنها الدنيا العجيبة التي لا تعطي أحدا ما يريد!**

**كان علي أن أتحرك ؛ فمواكب الخطاب لا تتوقف ؛ يا للعجب كيف تشتكي صديقاتي وجاراتي قلة الخطاب ربما يخشين الحسد !!**

**وحتى لا يدهمني الوقت اخترت وقررت ، وكان اختياري صدمة للجميع ، حتى أمي ولكنني كنت متأكدة أن هذه الصدمة ستزول بمرور الأيام.**

**كان معاقا يتحرك دائما بدراجة بخارية ذات ثلاث عجلات ، أقل مني تعليما ، يكبرني بسنوات ؛ ربما فاته قطار الزواج فلم يكن قط ضمن قائمة اختيارات أي فتاة ! صاحبت أخته ، ولمّحت لها بأنني سأوافق عليه إذا تقدم لخطبتي**

**لا أدري حتى الآن كيف أقنعت أمي وإخوتي ! أوهمتهم أنني أحبه ؛ ألا يقولون أن الحب أعمى ؛ كادوا يصابون بالحول من شدة الذهول كدت أقتل أمي وأنا لا أدري**

**لم يعد لأهل حارتنا حديث إلا هذه الزيجة لا أحد يصدق أنني بعد رفضي لكل هؤلاء الخطاب - وكل واحد فيهم بحق أمير أحلام أي فتاة - أتزوج بشخص لا يوجد بيني وبينه أي تكافؤ !، كنت بيني وبين نفسي أشعر أنني ظلمته ، فرغم أنه كان يتظاهر بالسعادة ، إلا أنه كان يعرف أنني لم أحبه ، ولكنه كان يحاول - مثلي - التكيف مع هذه الحياة الجديدة ، تعود - مثلي - أن يتظاهر ويمثل أنه سعيد!**

**لم ألتفت لما يقولون وبدأت أتكيف مع حياتي الجديدة ، ومرت سنة وحدث ما لم يكن في الحسبان ! اللعنة على هذا الطبيب الذي شخص حالتي منذ سنوات لقد أكد أنني معيبة وأن هذا العيب الخلقي سيجعلني عاقرا ، لكن ها هو طبيب آخر يؤكد لنا من خلال التحاليل وجود حمل!!**

**الشهور تمر ، وبطني تتكور ، وتزداد ، و الجنين يكتمل ! إنني أشعر بقدميه تركلاني ؛ يريد أن يرى الحياة ، الحياة التي أشعر أنني على وشك الخروج منها !**

**19 / 7 / 2020 م**

# على أعتاب صاحبة الجلالة

أمام باب مشرحة المستشفى ، توقف ، والخوف يدق طبلة قلبه بقوة ؛ فهو لم يرى جثةً من قبل ! ووظيفته الجديدة تحتم عليه أن يُصوّر جثة داخل هذا المكان الذي ملأ قلبه رعبا !

ارتعد ، وهو يدلف من الباب ، ثم يغلقه خلفه ، أحس أنه لن يستطيع القيام بالمهمة العسيرة التي جاء لتنفيذها ! بل وهمَّ بالرجوع من نفس الطريق التي جاء منها ، لكنه تراجع عن ذلك عندما تذكر الممرضة التي سهلت له الدخول ، رغم وجود أفراد أمن يحرسون المكان ، فعلت ذلك بعد أن أغراها بمبلغ من المال ؛ إنها تقف الآن تراقب الطريق حتى ينتهي من مهمته ، ويلتقط الصور التي يريد التقاطها ، تشجَّع ومشى نحو السرير المغطى بملاية بيضاء ،

**كان الصمت يخيم على المكان ؛ فلم يعد يسمع إلا دقات قلبه المتسارعة ! وهو يضبط الكاميرا أمام عينه ليلتقط الصور ، طارت من يده سلسلة مفاتيحه ، واستقرت فوق ملاية السرير ، تقدم خطوتين ليلتقط المفاتيح وجسده كله يرتجف من شدة الرعب ، وفرائصه ترتعد ، فوجئ أن السرير لا توجد فيه أي جثة ! فقط كومة من الملايات البيضاء الملفوفة بالطول ، تساءل مفزوعا : - أين الجثة .. .. أين جثة الإرهابي ؟!**

**في نفس اللحظة دخلت الممرضة ، والخوف والفزع يأخذان بتلابيبها ، فقد كان هناك مرور مفاجئ من بعض الأطباء ، ، طفقت تتلفت يمنة ويسرة ، تبحث عن مكان تخفيه فيه ، قال لها مذعورا : - الجثة .. .. اختفت .. .. لا توجد جثة !!**

**نظرت إلى السرير الخالي ، وبدون تفكير أزاحت الملايات من فوقه ؛ ثم دفعت الرجل فوق السرير ، وغطت جسده كله بملاية كبيرة بينما كان في حالة غريبة من الذهول والاستسلام ! فرغم الرعب الذي أحس به وهي تغطي وجهه ، لم يقاوم ، خصوصا عندما سمع صوت أقدام تدخل المكان !**

**دخل الأطباء ومعهم رجلان أحدهما يعلق في رقبته كاميرا كبيرة ، بينما سأل الرجل الآخر من حوله**

**- أين جثة الإرهابي .. .. منفذ العملية ؟!**

**تقدَّم كبيرهم تلقاء السرير الذي تقف الممرضة بجانبه ، وهم برفع الغطاء ، فسقطت الممرضة على الأرض فاقدةً الوعي ! التف الأطباء حول المرأة يحاولون إفاقتها ؛ بينما استغل الرجلان الفرصة ، وكشفا الغطاء ، وصورا ما شاءا من الصور ، قال أحدهما للأطباء بينما كانوا لا يزالون مشغولين في إفاقة الممرضة**

- **اطمئنوا أيها السادة .. .. صور حضراتكم ستكون منورة في الصفحة الأولى ، وأسماؤكم ستكون بالبنط العريض !**

**خرج الأطباء ومعهم الممرضة ، وهي في حالةٍ يُرثى لها ، وتسلل " هشام " خلفهم ، و قد اصفر وجهه ، استطاع أن يخرج من المشرحة كما دخل ، دون أن يلاحظه أفراد الأمن الذين يحرسون المكان !**

انطلق محاولا اللحاق بالرجلين الذين صوراه ، كان يريد أن يلحق بهما قبل أن يحمضا الصور ، وتظهر صورته مكان صورة المجرم الذي أودى بحياة عشرين بريئا كانوا يستقلون الأتوبيس! كان يجري كالمجنون ، حتى وصل إلى بوابة المستشفى ، وهناك لمح الرجلين وهما يستقلان تاكسي ، حاول اللحاق بهما ، لكن التاكسي كان قد انطلق بهما ؛ أوقف هو الآخر تاكسيا ، وطلب من سائقه أن يقتفي أثر التاكسي الأول ، وجد نفسه يلعن الذين أشاروا عليه بأن يعمل في هذه الجريدة الجديدة ، التي لم يعد يذكر اسمها ! ما له هو والصحافة ، لقد دفع للممرضة ، واشترى الكاميرا وما زالت عليه أقساط لا بد من سدادها ، وبدلا من أن يثبت نفسه في الوظيفة الجديدة ، وضع نفسه في ورطة ربما بسببها قد يقضي بقية حياته في السجن !

# كرنب زبادي

هل كانت أبواب السماء مفتوحة على مصراعيها منذ الأمس تساءل وهو يتجه إلى موقف الميكروباص ,
إنه لم ينم دقيقة واحدة , لم يغمض له جفن في تلك الليلة الفائتة , والسماء أيضا لم يُغلق لها باب , فالأمطار تهطل بغزارة , حتى أن الشوارع تحولت إلى برك كبيرة من الماء .

**وبينما كان يقفز من رصيف إلى آخر , متجنبا السقوط في إحدى هذه البرك , تساءل مرة أخرى , لماذا لا تطاوعه عيناه فتسكبان ما يحتبس فيهما من دموع راكدة , فيستريح إذا انخرط في البكاء ! مرت ملاكي مسرعة بجانبه فدفعت بكمية كبيرة من المياه الموحلة تجاهه فأغرقت ملا بسه ابتسم وقلبه يبكي , فملابسه مبتلة بالفعل من المطر الذي لا يتوقف لكنها الآن أصبحت أيضا متسخة مما علق بها من الطين والوحل . توقف لحظة , وهمّ بأن يعود إلى بيته , لكنه لم يستطع , فاليوم سوف يتحدد مصيره , إنه يوم الفصل بالنسبة له , ربما يفصلونه من عمله كمدرس !**

**وهو يدلف من باب الميكروباص علق جيب الجاكت الجلد في أكرة الباب فتمزق شر ممزق وتشوه منظر الجاكت , كاد يصرخ متحسرا , فليس لديه إلا هذا اليتيم , لقد اشتراه بنصف راتبه الشهري تقريبا ! أراد أن يرفع وجهه وينظر نحو السماء فمنعه المطر المتساقط بغزارة , هم بالرجوع للمرة الثانية فلم يستطع ! تذكر دعوات أمه وزوجته , وابنه الصغير الذي دعا له في مقابل أن يعود إليه بقطعة كبيرة من الشيكولاتة المغلفة , فهدأ قليلا وارتمى فوق أحد مقاعد الميكروباص,**

أغمض عينيه لحظة , لينسى المصيبة التي حاقت به , فوجئ بأنه لا يزال يرى ما حوله , وفاجأه أكثر أنه وجد أن كل من في الميكروباص من هيئة التدريس في المدرسة ! أخذ يدعك عينيه وهو يقول بذهول : ـ من المؤكد أنني أحلم !! التفت إليه الجالس عن يمينه قائلا : ـ لا , أنت لست في حلم يا " جودة " كلنا معك , لن نتخلى عنك , فأنت معلم مثالي , قدوة يُحتذى بها , قضيت عمرك الوظيفي تغرس القيم والأخلاق والمُثل العليا , بنيت للبلد أهراما من الشباب المتحمس لخدمته , ولم تبنِ لنفسك أو لأولادك دارا , كان بمقدورك أن تجني الكثير من الأموال مثل غيرك , لكنك كنت من النزاهة والشرف بحيث لم تقبل يوما أن يدخل جيبك مليم من الحرام .

ضحك الجالس عن شماله , وقال : ـ كفاك يا عم ,هذا الكلام لا يقدم ولا يؤخر , هي النزاهة أو الشرف ينفعوا في هذه الأيام ! ليتك يا " جودة " سمعت نصيحتي , ياما قلت لك الحجر الداير لا بد عن لطه , كلما كان شغلك قليل كلما قلت أخطاؤك , حبكت يعني تشد الولد من دراعه عشان قال في تحية العلم كرنب زبادي لك حبي وفؤادي ! لسوء حظك الولد طلع عامل عملية في دراعه من كام يوم .. ضيعت نفسك , ودمرت مستقبلك .. ..

**قاطعه وهو يقول مدافعا عن نفسه : ـ أعرف منين إنه كان عامل عملية في دراعه .. وبعدين هو أخطأ و كان لا بد من عقابه .. .. وأنا كنت أحاول لفت انتباهه فقط ! انت عارف أكيد إن تحية العلم واجب مقدس ! أنا كنت عاوز أعرّفه إن عَلم بلدنا ليس مجرد قطعة من القماش الملون , هذا العلم هو رمز هذه الأمة استشهد في سبيله آلاف الأبطال, وسالت من أجله أنهار من الدماء الطاهرة إن لم نعلمهم نحنُ هذا فمن سيعلمهم ؟!**

**صكت أذنيه ضحكات السائق , كان الصوت مألوفا له , قال بلا تردد , حتى قبل أن يلتفت إليه , ويرى وجهه المكتنز ورقبته الممتلئة : ـ حضرة المدير !!**

**ومن العجيب أن الميكروباص ظل يقطع الطريق وكأنه يطير فوق الأرض ,ولم يتوقف رغم أن السائق ترك عجلة القيادة والتفت بكامل جسده نحو " جودة " وكأنه يجلس علي كرسي دوّار قال وهو لا يزال يضحك : ـ يا " جودة " هذا الكلام ينفع يكون قطعة إملاء أو موضوع إنشا لكنه لا ينفع يطعم فم أو يملأ معدة .. .. التفت قليلا لمصلحتك و مصلحة أولادك الذين سيتشردون لو تم فصلك ! يا رجل كان أجدر بك في مثل هذه الظروف المنيلة تسمع كلامي وتقبض ال كام ألف جنيه , يجرى إيه لو نجّحت ابن الشرنوٴوبي , المبلغ الكبير اللي عرَضه عليك كان نفعك الآن !**

. صرخ معترضا : ـ ينجح ازاي وهو لا يعرف يقرأ ولا يعرف يكتب !. ارتفع صوت المدير أكثر وهو يقول : ـ يا " جودة " الورق ورقنا , والدفاتر دفاترنا , على أي حال زميلك , قام بالواجب كله وقبض , مش كنت أنت أولى .. مش كان أولادك أحق ؟! قال بعصبية شديدة : ـ لا .. أنا مستحيل أقبض رشوة .. الموت أهون عندي ..الموت أهون .. ..

توقف الميكروباص فجأة , فاندفع جسده بقوة للأمام فاصطدم بظهر المقعد الذي أمامه , انتفض كأنما لدغته أفعى , فوجئ وهو يفتح عينيه بأنه كان يحلم , كان يرتعش من شِدة البرد , نزل أمام باب مبنى المحافظة وعندما أراد أن يدخل استوقفه الحرس ظنوه أحد المتشردين ! أخرج لهم بطاقة إثبات شخصيته , والخطاب الذي استلمه بالأمس وفيه أمرٌ واضحٌ له بالمثول بين يدي المحافظ اليوم , وفي هذه الساعة .

بعد أكثر من ساعتين وجد نفسه يقف أمام سكرتير المحافظ , الذي كان رجلا مهيبا , يبدو عليه الوقار والاحترام , لاحظ , أن الرجل يوقع الكثير من الأوراق كان يوقع أكثر مما يتكلم ! مر الوقت ثقيلا على "جودة " كاد يتجمد من البرد وهو يقف كالجندي الذي ينتظر الأمر من قائده بالانصراف , لم يستطع أن يفتح فيهِ بكلمة , إنه ينتظر حُكما سوف يحدد مصيره ومصير أسرته , إذا تم رفده فماذا سيفعل ؟ ! في أي مهنة سيشتغل ؟ إنه لا يعرف إلا التدريس , ولا يرى نفسه في صورة أخرى غير هذه الصورة , في لحظة فاصلة شعر أنه سيسقط على الأرض من شدة الإعياء , ومن العجيب أنه شعر بعدها مباشرة بشيء يتدفق في عروقه بعث فيها الدفء وجعله يشعر بقوة لم يشعر بها من قبل ,

**ربما كان بعض الأدرينالين , ربما كان غيظه من هؤلاء الذين لا يشعرون به ويرون ما قام به من عملٍ صالحٍ جريمةً نكراء , هم بأن يتكلم ويدافع عن نفسه بكل ما أوتي من قوة , ولكنه فوجئ بسكرتير المحافظ يقوم من مكانه ويتوجه إليه , وفوجئ به يربت على كتفه ويقول له بنبرة اختلطت برأسه وعظامه : ـ أنت المدرس الذي غار على علم بلاده ؟! أنت رجل نادر يا أستاذ " جودة " فعلا فقلما نرى رجلا يضحي بعمله من أجل بلده , تحية العلم أمن قومي أنت عملت عمل بطولي وأحب أطمئنك إن كل الجزاءات التي لحقت بك من وكيل الوزارة ومدير الإدارة والشئون القانونية تم إلغاؤها خصوصا بعد أن تبين من التحقيقات أن التقرير الطبي ـ الخاص بالتلميذ المسيء للعلم ـ ملفق ,**

وأهل الولد دفعوا رشوة للحصول عليه .. .. يا أستاذ , أبشرك أن معالي السيد المحافظ قرر صرف مكافأة مالية ـ لك ـ قدرها ثلاث شهور , كما سيتم تكريمك في الحفل السنوي الذي تقيمه المحافظة .

لم يصدق الأستاذ " جودة " نفسه وهو يخرج من مبنى المحافظة , أحس أنه يكاد يطير فرحا , تذكر أمه وزوجته وابنه الصغير , قرر أن يجعل لكل منهم شهرا كاملا من هذه المكافأة , هذه هي قسمة الحق , قال لنفسه بصوت مسموع : ـ لن أدخل الكرنب أو الزبادي بيتي لمدة ثلاث شهور !!

# العودة إلى الكهف

**لم يعد يعرف بالضبط في أي يومٍ من أيام الأسبوع أصبحَ ! فالهواتف لا تعمل ، و جميع الأجهزة من حوله انطفأت شاشاتها الفضية ! حتى ساعته الرقمية توقفت عن العمل ! توقف نبض الحياة الإلكترونية فجأة ، بمجرد اقتراب ذلك المذنب الضخم ، الذي أطلق عليه العلماء " بورونا " و الذي لسببٍ لا يعلمه أحدٌ انحرف عن مساره في الفضاء البعيد ، متجها نحو المجموعة الشمسية ! فتسبب في هذه الظاهرة الغريبة التي أطلق عليها البعض فيروس بورونا " بوفيد ــ 19 " والذي أصاب جميع الأجهزة والآلات بالشلل التام !**

**لم تبق أي وسيلة من وسائل الاتصال والتواصل على قيد الحياة تخبر العالم الحبيس بين جدران البيوت بأنه منذ ثوانٍ معدودة احترقت المحطة الفضائية ! وكذلك الأقمار الصناعية ! و بأن الأرض على موعدٍ مع الجحيم !**

**النخبة فقط من الجنس البشري استطاعوا أن يحجزوا لهم مكاناً في الأنفاق الآمنة ، في باطن الأرض ، والتي كانت مجهزة خصيصا من قِبل الحكومات للاحتماء بها وقت الحروب النووية !**

**وعلى الرغم من التحذيرات الكثيرة التي صدرت من جميع حكومات الدول لشعوبها بعدم الخروج أو حتى النظر من النوافذ ! بل ومطالبة كل شخص بالاختباء تحت سريره ، أو داخل خزانة ملابسه للاحتماء من الوهج الحارق الذي قد يحرق كل ما على سطح الأرض عند مرور المذنب عند أقرب نقطة له من الأرض ! رغم كل هذه التحذيرات التي تمت كتابتها في منشورات ورقية ، وتوزيعها يدويا و بطرقٍ بدائية جداً ! فقد فتح نافذة حجرته ، وهو يرتدي سترته الواقية وقناع الوجه ، اللذان كان يرتديهما أثناء عمله في ورشته حيث كان يعمل حداداً !**

**كان مُصراً على رؤية هذه الظاهرة الكونية الخطيرة التي لم تحدث من قبل ، وكان يريد تسجيلها ، لكن هاتفه كان في يده جثة هامدة !**

**سمع أصوات انفجارات هائلة ، و رأى الأفق من بعيدٍ يتوهج شيئا فشيئا حتى أصبحت السماء كلها نارا مشتعلة ، وكأن الشمس بكاملها تخترق الغلاف الجوي من أقطاره ! ثم فجأة اختفى كل شيء ، وخيم صمتٌ رهيبٌ قبل أن يخرَّ على الأرض وكأنما أصابته صاعقة !**

**في باطن الأرض ، داخل أحد الأنفاق شعر بنفسه ممدداً على سرير ، وبيد ممرضة حانية تمسك بيده ، وكأنها تقيس له النبض ، عيناه لم تكونا تبصران ، كما لم يكن يستطيع سماع أي شيء ! فقد سمعه وبصره ، واحترق جلده من أجل أن يرى اللحظة التاريخية ! كان يصرخ كالمجنون : - أخرجوني .. .. أخرجوني !**

**ربما كان يظن أنه ما زال في المَحْرَقة ، بسبب آلامه الرهيبة ! لم يكن يرى أو يسمع أنين وصراخ العشرات ممن حوله داخل النفق الذي تحوَّل إلى مشفى ، كما لم يسمع الممرضة وهي تهمس في ذعر : - الله وحده يعلم متى سنخرج من هذه الكهوف**

**4 / 4 / 2020 م**

# البيضة السوداء

وحدها في الشقة ، قضت ساعاتٍ وهي تنظف أطقم الصيني ، الستائر ، السجاد ، الأثاث ، لم تستعن بخادمة منذ تزوجت ، غمرتها السعادة وهي ترى كل شيء حولها يلمع كالجديد ، إنها ليلة العيد ، والأطفال يلعبون مع أبناء الجيران على سلم العمارة ، وزوجها ما زال في عمله في قسم الشرطة ، الليلة لن يناموا ، سيقضونها على اللسان بين البحر والنيل .

**عندما عادوا إلى الشقة ، فتح زوجها الباب ، أضاء الأنوار ، ذهب الأطفال إلى أسرّتهم ليستريحوا ، دخلت مع زوجها حجرة النوم ، بينما انشغل في تبديل ملابسه ، همّت هي بأن ترتمي على السرير من شدة الإرهاق ، لولا أن فوجئت بها في فراشِها ، فوق السرير ! فصرخت ، التفت زوجها ، أصابه الذهول هو أيضا و تساءل من أين جاءت هذه البيضة ؟! ولماذا هي سوداء ؟!**

**بحثا في كل مكان ، وقد ظننا أن دجاجةً دخلت ووضعتها ، ولكن متى وضعت دجاجةٌ بيضةً بهذا اللون ؟! كما أن النوافذ كلها محكمة الغلق !**

**لم يبلغ أحدا من زملائه الضباط ، فباب الشقة سليم ، والنوافذ ، ولم يتم سرقة أي شيء ، ربما يسخرون منه إذا فاتحهم في الأمر ، سيقولون ضابط المباحث الجديد - الذي قبض على أعتى اللصوص ، وضرب بيدٍ من حديد على أيدي المجرمين ، وجعل البقية منهم يدخلون الجحور مثل الجرذان – وجد في قلب شقته ، في حجرة نومه ، فوق سريره بيضة ! من الذي جرؤ على فعل ذلك ؟!**

**ظلّ أياما في قلق و أرق هو وزوجته حتى جاء اليوم الذي خرج فيه في مأمورية للقبض على " النونو " ! وهو في الطريق ضحك رغما عنه ، وسأل أحد عساكر القوة : - فيه بلطجي مسجل خطر اسمه " النونو " ؟!**

**لاحظ أن الدماء هربت من وجه العسكري وهو يرد عليه بتلعثم :**

**- شيطان ، والله العظيم .. الكل يخاف منه حتى السادة الضبا .. ط !**

**نظر إليه بعينين تتقدان من شدة الغضب ، فسكت .**

**رأى الخوف يطل من عيون عساكره ، كلما اقتربوا من المكان ، استعدّوا بأسلحتهم وكأنهم على أبواب معركة كبيرة ، ومع ذلك فوجئوا جميعا بالشيطان يُسلم نفسه دون أي مقاومة منه أو من رجاله ! اقترب منه بعدما قيدوه ، فوجئ به يهمس في أذنه بصوتٍ لم يسمعه غيره : - كيف حال البيضة يا باشا ؟!**

**23 / 6 / 2019 م**

# زجاجة فارغة

استغرق وقتا طويلا ؛ ليصعد إلى سطح العمارة ! كان يتوقف قليلا في نهاية كل طابق ؛ ليلتقط أنفاسه ، وكأنه يلتقط أنفاسه الأخيرة !

عندما وصل ، رفع زجاجة الخمر التي يمسكها بيده ، وأفرغ كل ما بها داخل فمه دفعة واحدة ، ثم ألقى بها في الهواء ؛ لتسقط في الشارع !

لم تستغرق أكثر من ثوان معدودة لتصل إلى الأرض ، لكن يبدو أنها بدلا من أن تصطدم بالأرض اصطدمت برأس أحد المارة ، فأصابته إصابة بالغة ؛ وفجَّرت نافورة من الدماء ، فسقط على وجهه في نهر الطريق وسط الأمطار الغزيرة ، شاهد الناس الرجل وهو يهوي مضرجا في دمائه ؛ فأصيب الجميع بالذعر ، وطفقوا يجرون في كل اتجاه ، وهم يظنون أنه إطلاق نار ، واصطدمت السيارات ببعضها !

ابتسم وهو يشاهد – من علٍ - كل هذا الهرج والمرج الذي أحدثته الزجاجة الفارغة !

**بعد قليل ، ووسط مزيج عجيب من أصوات سيارات الإسعاف ، وسيارات الشرطة ، وعربات المطافئ ، ظهر صوت مذيع النشرة الإخبارية لإحدى القنوات التليفزيونية ، وهو يعرض تفاصيل الحادث الإرهابي مستعينا برواية شاهد عيان .**

**على شاشة القناة ظهر وجه الشاهد الذي أخذ يروي تفاصيل الحادث ، وكأنه كان يشاهده لحظة بلحظة ، إنه نفس الرجل ! ومع أنه كان يترنح أمام الجميع ، ورائحة الخمر تفوح من فمه ، إلا أن المذيع أشاد به قائلا : - هذا الرجل الذي شاهد تفاصيل الحادث الإرهابي عن كثب من فوق سطح هذه العمارة ، ورأى الإرهابيين وهم يطلقون النار فيقتلون رجلا ويصيبون عددا آخر من الضحايا الأبرياء ، كما ترون لا تزال آثار الصدمة والخوف والفزع واضحة على وجهه ، من موقع الحدث نقلنا لكم تفاصيل الجريمة الإرهابية حصريا ، وقبل أي قناة أخرى !.**

**23 / 1 / 2020 م**

# أطول ليلة فى عمري

لم أدخل العناية المركزة من قبل ، والليلة رأيت نفسي في أحد غرفها ؛ ربما كان هذا مجرد كابوس مزعج ، الهدوء المريب الذي يلف المكان يستفزني ! هدوء عجيب لا أسمع فيه إلا صوت النبضات الآلية الصادرة من جهاز بجانبي له شاشة تشبه شاشة التلفاز

كنت أرى السقف بعيني يلمع مثل سطح مرآة فضية ؛ تعكس صورة أشخاص يرقدون مثلي على الأسرة المجاورة؛ فالغرفة كبيرة مقسمة إلى حجرات تفصل بينها الستائر ؛ كانوا خمسة وأنا سادسهم

، لكنهم كانوا شيوخا و عجائز ! إن عمري لا يكاد يصل إلى ربع عمر أصغرهم قفز إلى رأسي سؤال مخيف :

- ماذا أفعل في هذا المكان .. ..

أيقنت أنني لا أحلم بمجرد أن حقنتني ذات الرداء الأبيض والوجه الملائكي بالمهديء ؛ لم أشعر بسن الإبرة وهو يخترق مبسم الكانولا المغروس سنها في ذراعي ؛ ملمس بشرة أناملها الناعمة فقط جعلني أرتبك ، وبدأ الخدر يسري في وريدي ويتسلل إلى كل أعضائي ! و قبل أن أفقد الوعي، رأيتها تبتسم لي ابتسامة زهور الربيع النضرة؛ وهي تقول لي ، وما زالت الابتسامة تنير وجهها الذي أشرق كالبدر

- الحمد لله .. .. أنت تتحسن بسرعة .. .. كنت بين الحياة و الموت .. .. يا ترى ما السبب يا كتكوت ؟

كتكوت .. .. كتكوت ؟! كانت جدتي تقول دائما أن الكتكوت الفصيح من البيضة بيصيح ! وأمي كانت تخصص حجرة كبيرة لتربية البط و الدجاج ؛ وكانت تأذن لي في إطعامها ، و في جمع البيض ، كانت أسعد أوقاتي هي التي أقضيها و أنا أجمع البيض ؛ وكنت أتساءل من أين جاء كل هذا البيض؛ والحجرة ليس فيها إلا البط والدجاج ، والكتاكيت ! حتى جاء يوم أغبر؛ وقفز الديك الأحمر الكبير ، ونقرني في جبهتي نقرة قوية فتحت حاجبي ، وفجرت الدماء الراكدة في شراييني ؛ فلطخت وجهي و ملابسي؛ ذلك اليوم أظن أنه لم تطلع فيه الشمس !

**قضيناه في المستشفى ، وسمعت أمي تقول متوعدة أنها عندما تعود ستذبح ذلك الديك المتغطرس ، وكانت تتعجب كيف حدث ما حدث رغم أنها تقص مناقير الديكة باستمرار حتى لا يقتل أحدها الآخر أو يصيبه**

**عندما أفقت كان الجميع نائمين ؛ عرفت ذلك من نظرة واحدة للسقف ! كنت أنظر إليه وكأنني أنظر في المرآة ! يا ويلي ما الذي جاء بي وسط أهل الكهف ؟! لا .. .. لا .. أهل الكهف كانوا شبابا ، أما هؤلاء فقد بلغوا أرذل العمر ؛ إنهم موتى ولكن خارج القبور ! ووجدتني أتساءل متعجبا**

**-    هل سأصل إلى ذلك العمر يوما ما ؛ فيبيض شعري ، وتسقط كل أسناني، ويتقوس ظهري ، وأصبح جلدا على عظم ؟! انتزعني من كل هذا إحساسي ببرودة شديدة تتسلل إلى عروقي ! عرفت أنه من تأثير الحقنة الجديدة التي حقنت بها الممرضة المحلول المعلق في الحامل الحديدي بجانب سريري فتحت عيني لأرى وجهها ، أصابني الحزن عندما رأيته ؛ فلم يكن هو وجه الأميرة التي كانت معي في أحلامي منذ لحظات ! بل كان وجه ممرضة أخرى ، أكبر سنا ، وأقل حسنا!**

**ابتسمت لي ، وجلست على حافة السرير ، وانطلقت تحكي لي حكايتها ؛ حسبتها مجنونة ؛فقد أخبرتني بأشياء لا أدري كيف انزلقت من بين شفتيها ! مر وقت طويل وهي لا تكف عن الحديث ، ورغم أنني لم أكن أرى في المكان أي شيء يخبرني الوقت إلا أن دقات قلبي كانت تؤكد لي أنه قد مرت ساعتان أو أكثر ! والمرأة لا تزال تحكي حتى بدأت أشعر أن رأسي تدور ، فهمت من كلامها أنها تزوجت وهي صغيرة ، وأنجبت بنتا ، وأن زوجها كان يحبها في البداية ، ولكنه بعد فترة أدمن الشرب ، وبدأ يشارك أصدقاءه في لعب القمار ، ومن وقتها تحولت حياتهم إلى جحيم ؛ يضربها أشد الضرب ويهينها أمام الجميع ؛ وفجأة قامت وكشفت لي عن أماكن في جسدها تقول أنه كان يلطعها بالنار ! انتبهت كمن لدغته أفعى ، و أردت أن أصرخ في وجهها ، هذه المخبولة ستتسبب لي في فضيحة وأنا على هذه الحالة !**

نظرت إلى السقف الفضي ؛ إنه مرآتي الآن ؛ اطمأن قلبي عندما تأكدت أن الجميع يغطون في نوم عميق

درجة الحرارة بدأت ترتفع ؛ لدرجة أن حبات من العرق بدأت تتكور فوق جبيني ؛ مدت المرأة يدها تمسح عرقي بنفس المنديل الذي تجفف به دموعها! وهي تبتسم لأول مرة ، وتقول

- انت عرقت .. .. مع إن التكييف شغال!

ثم نظرت في ساعتها ؛ ومدت يدها وفتحت الصندوق الطبي الصغير الذي على المنضدة وأخرجت حقنة و بدأت في تجهيزها ، ثم حقنتني ؛ عصبيتها وهي تفتح غطاء الكانولا ، ثم وهي تحقنني ؛ جعلت السن المغروس في وريدي يتحرك و يسبب لي ألما رهيبا ، لكن سرعان ما بدا الخدر يسري في عروقي ، وقبل أن أفقد الوعي رأيتها تبتسم ابتسامة صفراء

أسمع أصوات كثيرة تتداخل وتتشابك ، و لا أستطيع أن أميز أي صوت منها ، هل هي أضغاث أحلام ؟! لا .. .. لا لقد عرفت الآن ؛ إنهم جيراني .. لقد استيقظوا ليس هذا فحسب ولكن لديهم زوار أيضا ؛ أبناء وأحفاد ؛ كنت أرى صورتهم في مرآتي الجديدة المعلقة في السقف ، تنبهت إلى أن الجميع لديهم زوار إلا أنا ! ذكرني هذا بأنني لا أذكر شيئاً ؛ يا إلهي لقد نسيت من أنا ! بدأت أعصر مخي ، حتى أستعيد بعض ذكرياتي لكن بلا جدوى ، أشعر وكأني أدور في متاهة ؛ ولم ينتشلني منها إلا صوت أقدام تقترب ، ربما زوار جاؤوا من أجلي ؛ فوجئت بطبيب ومعه أحد ملائكة الرحمة نظر في أحد السجلات وكتب فيه شيئاً ، ثم ابتسم لي وهو يقول

- الحمد لله على سلامتك.. .. أنا كتبت لك بعض الأدوية التي ستأخذها لمدة أسبوعين

جهز نفسك للخروج يا بطل

ثم انطلق هو والممرضة التي معه إلى الحالة التي بعدي ؛ وتركني أغرق في دوامة كبيرة لا أعرف لها بداية و لا نهاية !

٢٠٢٠/٧/١

# أنا وزوجتي والشيطان

**لم أنم ، والعجيب أن كلب الجيران لم ينم هو الآخر ! ظل طول الليل ينبح ؛ لكنه لم يكن ينبح نباحا عاديا ؛ بل كان يعوي كما تعوي الذئاب ! ربما رأى ملك الموت ، وهو يدخل شقتي .**

**حتى الآن لا أصدق ما حدث ؛ ليتني لم أسمع كلامها ، ليتني لم أطاوعها ! لقد قضيت الليل كله أبكي حتى نفدت دموعي ، وأصرخ من أعماقي حتى بح صوتي المكتوم في ضلوعي ، وأنا أحاول أن أسعفها ؛ أن أعيدها إلى الحياة ؛ لكن كان الأمر قد وقع ! ربما لو كنت اتصلت بالإسعاف ؛ لكتبت لها النجاة ، كانت تحتاج إلى من يسعفها ؛ ولكنني كنت خائفا ، هي نفسها قبل أن تفقد الوعي رفضت اللجوء للإسعاف أو الذهاب إلى المستشفى !**

مع ذلك أنا متأكد أنها ماتت ، صحيح أنني غير مثقف كما كانت تقول ، ولم أحصل على شهادة عليا كما كانت تقول ! لكنني تمرست في مدرسة الحياة ، ومررت بأشياء وتجارب لا يعلم عنها أهل المدارس شيئا ، رأيت من قبل رجلا يموت في سيارته بعدما نزل ليشتري علبة سجائر ! وبمجرد أن عاد إلى السيارة ، وفتح العلبة، ووضع السيجارة في فمه ، وأشعلها تجمد في مكانه ! كان قد أوصد الباب ؛ فظللنا وقتا نحاول فتحه لنخرج جثته ، كانت عيناه مفتوحتان كأنه رأى ما لم نره !

مرة أخرى ؛ وفي الورشة التي أعمل فيها ، المعلم ، وهو جالس على كرسيه المصنوع من جريد النخيل ، وقعت النرجيلة من يده فجأة ، وعندما ذهب زميلي ليساعده وجده جامدا في مكانه لا يتحرك ، وعيناه مفتوحتان لا ترمشان ! فعلنا الكثير لدرجة أننا صفعناه أكثر من مرة على وجهه ، ومع ذلك لم يعد ، لو كان حيا لعلقنا جميعا من أرجلنا كالذبائح !

لقد ماتت زوجتي الحبيبة ، أنا متأكد من أنها ماتت ؛ والذي يشهد على كلامي عواء كلب الجيران ، إنه لم يعو بهذه الطريقة قط منذ أقمنا في هذه الشقة المنحوسة !

ماذا سأقول .. .. إن أحدا لن يصدقني .. .. سيظن الجميع أنني قتلتها ! يا إلهي ! زوجتي الحبيبة .. .. سيقولون أنني قتلتها ، إنها فرصتهم التي انتظروها طويلا ؛ جاءتهم على طبق من ذهب !

طول الليل وأنا أدور حول نفسي حتى تعبت ، ومن شدة التعب نمت بجانب جثتها ! لقد تزوجتها عن حب ، مع أنني كنت أعرف أن زيجتنا غير متكافئة ؛ فأنا مجرد عامل حرفي بسيط ، أكاد أعرف القراءة والكتابة ، بينما هي خريجة جامعة ، لديها شهادة عليا ، و جميلة ، وموظفة تنفق على البيت أقصد تساعدني .. .. لا .. .. لا .. .. الحقيقة منذ انتشار كورونا وغلق الورشة ؛ أصبحت هي التي تنفق على البيت ، أو عليّ كما يقولون .. .. اللعنة عليهم جميعا ؛ إنهم يحسدونني عليها ، إنهم شياطين يسعون إلى خراب البيوت !

**رغم كل ذلك ، ورغم كل المشاكل التي كانت تندلع بيننا ، فقد كانت تحبني ، وكنت أهيم بها حبا ، على الرغم من دخول طرف ثالث بيننا بسببه كدت أطلقها أكثر من مرة ، كانت شغوفة به أكثر من شغفها بي ؛ تجلس معه أكثر من جلوسها معي ، ترافقه في كل مكان ، تستشيره في كل صغيرة وكبيرة ، وعندما أعترض ، تتحجج بقلة تعليمي ! بدأت أتقبل وجوده بيننا رغم شعوري بأن قرنين كبيرين ينبتان في جانبي رأسي ، وكنت كلما نظرت في المرآة أنظر خلسة خشية أن أراهما ، وبدأت أعتاد الأمر بعدما اتضح لي أن الجميع مغرمين به أيضا إنه المأسوف على شبابه المدعو جوجل !**

**في تلك الليلة المشؤومة ، فوجئت بها تتلوى وتصرخ ، إنها مريضة ؛ فاقترحت عليها أن أصحبها إلى المستشفى ، وهممت بطلب الإسعاف ؛ لكنها رفضت وبشدة ، وشرحت لي أن المستشفيات كلها موبوءة بالمدعو كورونا ، ووجدتها تكتب ما تحس به ، وترسله إلى جوجل وما أسرع ما جاء رده ! فبعد أن قرأ الأعراض التي أرسلتها ما كان من حضرة الطبيب جوجل إلا أن كتب لها قائمة متكاملة بالأدوية اللازمة ومن ضمنها حقنة ، و لأن كلام السيد جوجل أوامر فقد أرسلتني لأحضر لها الدواء من الصيدلية القريبة ، ثم طلبت مني أن أحقنها بتلك الحقنة ، وطبعا رفضت ؛ ولكن بعد جدال هائل ، وبعد اتهامي بأنني أريدها أن تموت ، حقنتها و يا ليتني لم أفعل !**

**فما هي إلا دقائق ورأيتها تتشنج أمام عيني ثم رأيت حدقتا عينيها تدوران ، قبل أن تجمدا ، وتتوقفا إلى الأبد ، حاولت إفاقتها بكل الطرق ، لكنها كانت قد فارقت الحياة .. .. اللعنة على جوجل ، إن مصيبتي كبيرة ، وليست في موت زوجتي التي أحبها فقط ، فالمصيبة الأكبر أنهم سيتهمونني بقتلها .. .. بمن سأستشهد ؟! هل أطلب شهادة كلب الجيران الذي ظل يعوي طيلة الليل خوفا من ملك الموت ، أم أطلب شهادة جوجل الذي كان يسعى لتفريقنا دائما حتى نجح ، وحرمني منها ؟ !**

**انتهى الليل ، ليبدأ ليل حياتي الأبدي ؛ لقد مر أكثر من سنة ؛ سنة سوداء محت كل عمري الذي عشته من قبل ، حتى أنني لم أعد أذكر لحظة سعادة واحدة عشتها ، وأنا أنزف الساعات المتبقية لي خلف القضبان ! إنهم يقولون أن القرائن كلها ضدي ؛ كل الأدلة والبراهين تقول أنني قتلت زوجتي الحبيبة ! ولذلك حكموا بالإعدام لتوفر العمد مع سبق الإصرار ، كلمات منمقة لا أدرك لها معنى ! لكن الذي يشغلني الآن هو متى سينفذون الحكم ! ربما ينفذونه الليلة ؛ فها هو صوت عواء كلب الجيران يتردد في أذني من جديد !**

**3 / 7 / 2020 م**

# الملائكة ورائحة المناديل

حلمهما الذي ظل مستحيلا طوال السنوات العشرة الماضية ,اليوم سيصبح حقيقة إنها لم تستطع الصعود مع زوجها إلى معمل التحاليل , دقات قلبها سريعة جدا لدرجة جعلتها تطلب من زوجها أن يسمح لها بأن تنتظره أمام البرج بينما يحضر هو نتيجة التحاليل بمفرده

بينما هي تسعى أمام البرج , جيئة وذهابا ,وكأنها تسير على جمر , انشقت الأرض فجأة ووجدت أمامها بائع المناديل الصغير ! ابتسم لها , رقص قلبها تفاؤلا , أليست هذه بشارة لها ؟! مدّت يدها في حقيبتها ,

و أخرجت بدون تردد ورقة من فئة العشرة جنيهات , وضعتها في يد الصغير , ورفضت أن تأخذ الباقي , بل ولم تأخذ منه المناديل ! قال لها بصوت كالحرير : - لست متسولا .. خذي المناديل , وإلا لن آخذ المال !

اتسعت ابتسامتها , وهمت بأن تقبل جبينه , وتربت على كتفيه , إنه طفل ! و مع ذلك منعها حياؤها ! تناولت المناديل , سحبت منها منديلا , فقد كان وجهها يتصبب عرقا , كان للمنديل رائحة غريبة بمجرد أن اقتربت من أنفها شعرت بدوخة , ولم تعد ساقاها قادرتان على حملها , و سقط الهاتف المحمول من يدها , فالتقطه الطفل واختفى !!

**وفي لمح البصر انشقت الأرض عن امرأتين يخفي النقاب وجه كلٍ منهما ! أحاطتا بها وأدخلتاها التاكسي الذي توقف أمامهما مباشرةً! انطلق التاكسي وسط شلال السيارات واختفى هو الآخر!**

**وسط زحام الناس والسيارات رن الهاتف , وهو يخرجه من جيبه الصغير ضغطت أصابعه على المفاتيح سمع الصوت يقول :**

**- حياتي .. أخيرا .. النتيجة إيجابية .. أنت حامل .. حااااااااااااااااااامللللللللل .. .. بعد صبر سنين أخيرا حلمنا أصبح حقيقة ..**

**ضغط الصغير بإصبعه على أحد المفاتيح فأخرس الهاتف , تأمل العشرة جنيهات التي منحتها له السيدة المسكينة التي أوقع بها منذ لحظات , وأخذ يقارن بينها وبين ورقة كبيرة من فئة المائة جنيه كان قد حصل عليها من المرأتين , كادت تصدمه سيارة , لولا أن أبعدته سيّدة عجوز عن نهر الطريق , صرخت في وجه السائق : - حرام عليك .. إنه طفل صغير .. كدت تقتل ملاكا بريئا أيها الأعمى !!**



# المؤلف فى سطور

المؤلف / متولي محمد متولي بصل

مواليد دمياط 25 / 4 / 2021 م

من أعماله :

روايات:

- الربيع الذي لا يأتي
- شعبان في خبر كان
- العجوز والبحر

**مجموعات قصصية:**

- **الديك ذو العرف الأبيض   - الحب في الوقت الضائع**
- **الرجل الذي سرق دبا   - مأساة حصان.**

**ديوان شعر فصحى:**

- **من يهتف في الميدان   - بحار بلا مرسى**
- **قبل أن تُرفع الجلسة**

**ديوان شعر عامية:**

- **نفسي اشوف النيل بيضحك   - ليه يا بلد**
- **العمر لحظة حب.**

# محتوى الكتاب